مؤسسة مهجة القدس
MUHJAT ALQUDS FOUNDATION

من فكر السجون وأدبه

الإصدار الرابع عشر

أمي

مريم الفلسطينية

رائد محمد السعدي
سجن جلبوع

أمـــي

مريم الفلسطينية

الكتاب: سلسلة فكر وأدب السجون (14)

أمي مريم الفلسطينية

المؤلف: الأسير المجاهد/ رائد محمد السعدي

الناشر: مؤسسة مهجة القدس

غزة – فلسطين

الطبعة: الأولى

سنة النشر: محرم 1443هـ
أغسطس - آب 2021م

رقم الإيداع: 1569 / 2021

الآراء الواردة في الكتاب لا تُعبّر بالضرورة
عن وجهة نظر مؤسسة مهجة القدس

حقوق الطبع والنشر محفوظة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾

صدق الله العظيم

[لقمان: 14]

إهداء

• إلى روح أمي الطاهرة.

• إلى كل أم وخاصة أمهات الشهداء والأسرى الفلسطينيات.

شكر وتقدير

جزيل الشكر لكل من

شجع وساعد على إنجاز

هذا الكتاب وأخرجه للنور.

تقديم

في الأسر آلاف القصص والحكايات والروايات الإنسانية التي يعيشها الأسير الفلسطيني، فكل ركن وزاوية في الأسر شاهد على أحداث عاشها الأسير، وإن سألتها عن تلك الأحداث تنهمر دموع الجدران من شدة الحزن والألم متسائلة عن ذلك الصبر وتلك القوة التي يظهرها الأسير الفلسطيني في مقاومته لمشاعره الإنسانية كي لا يبدو ضعيفًا أمام سجانه من جهة وأمام إخوانه الأسرى من جهة أخرى، وذلك تعبير عن ثقافة زرعت في أعماقنا بأن المناضل لا يبكي ولا يظهر مشاعره الإنسانية إزاء أي حدث أو مصيبة قد يتعرض لها عبر مرحلة الأسر الطويلة التي خلفت وراءها عائلة منكوبة لكنها صابرة على محنة الزمان وجور ظلم الاحتلال الذي يحاول في كل يوم، بل في كل ساعة إخراجنا من دائرة الإنسانية المجبولة داخلنا، بالإضافة إلى المعاناة التي نعيشها جراء ما تمر به الساحة السياسية والتنظيمية والحزبية الفلسطينية من ترهل وتفكك مما يثقل من معاناتنا اليومية.

إن تلك القصص والحكاية الحقيقية التي تتولد يوميًا، تنفجر لتملأ المكان صمتًا، لكن القلب والمشاعر تثور كالبركان الثائر، يقذف حممه لتكسر جدار الصمت وتصرخ ملء الكون: أنا هنا، أنا موجود، أنا كيان، أنا إنسان.

هذا ما قام به الأخ والصديق رائد السعدي (أبو حمزة) في كتابه الذي يحمل بين ثناياه قصصًا حقيقية عاشها وعايشها عبر سنوات سجنه

التي تجاوزت اثنين وثلاثين عامًا، صابرًا صامدًا محتسبًا، وإن الإنسان الذي بداخله أصر على الخروج من عزلته ليكسر الصورة النمطية الجامدة للمناضل، ولتظهر للناس أجمعين أن هناك خلف القضبان مآسي متكررة يتعرض لها الأسير بشكل دائم، من لحظة عمله النضالي إلى ملاحقته من قبل قوات الاحتلال وأعوانه واعتقاله وتوقف الزمان فيه، إلى حرمانه من لقاء الأحبة، إلى فقدانهم وموتهم دون أن يحظى بنظرة الوداع الأخير وأن يزرع قبلة على جباههم، أو يزرع وردة على قبورهم، أو المشاركة في حمل نعشهم ودفنهم. هذه الصورة الصادقة المعبرة عن معاناته اليومية إنما تعبر عن كل أسير وأسيرة، كل عائلة فلسطينية وفي نواتها الأم الفلسطينية التي أطلق عليها الكاتب لقب (مريم الفلسطينية)، وهو عنوان كتابه الذي يتحدث عن الأسير الإنسان.

وعن قراءتي لتلك القصص التي بين دفاته لم أستطع التوقف عن قراءتها ولم أمنع عيني من ذرف الدموع لتلك المواقف والأحداث الإنسانية التي تبكي الشجر والحجر قبل البشر، ولا تملك إلا أن تتفاعل مع أحداثها؛ لأنها تحرك المشاعر الساكنة فينا.

إنه عمل رائع صادق وفريد من نوعه بين ما أنتجته الحركة الأسيرة من أدب السجون؛ لأنه يتحدث عن الأسير الإنسان وعن مشاعره بكل صدق وأمانة دون المبالغة أو الاستهانة.

أتمنى لك التوفيق

أخوكم الأسير/ هيثم حمدان

سجن جلبوع

أكتوبر (تشرين أول) 2020م

مقدمة

هناك الكثير من المشكلات التي تواجه الأسير الفلسطيني في سجنه لا يستطيع التفاعل معها كإنسان طبيعي، وذلك بسبب الظروف غير الطبيعية التي يعيشها من حيث فقدانه لحريته وحبسه بين أربعة حيطان وعزله عن محيطه الاجتماعي والثقافي والسياسي وحتى الإنساني، وهذه الظروف لها تأثير كبير على سلوكه ونمط حياته وتفاعله مع الأحداث، وهذا بحد ذاته له تأثير عميق بنفسيته ومشاعره مما يدفعه أحيانًا إلى التقوقع على ذاته، وإحاطة نفسه بجدران سميكة لا يمكن اختراقها مما يؤدي لصراع داخلي يصعب التعبير عنه وإظهاره للمحيط، مما يزيد من تراكم الأعباء النفسية التي تثقل عليه الإفصاح بمشاعره الحقيقية، وذلك بسبب الصورة التي رسمت للأسير رغمًا عنه، مما اضطره لقبولها وأن يحدد سلوكه وفقًا لهذا الإطار الجامد الصامت، ومع تزاحم الأحداث والمصائب والنكبات تبدأ المشاعر بالتكلس والتحجر، وهذا ما نعبر عنه من الخارج، وذلك للمحافظة على الصورة النمطية للمناضل القوي الصلب؛ لأن إظهار الأسير لمشاعره الحقيقة الإنسانية يفهم على أنه ضعف وعيب، هذا الجدال والصراع مع النفس ومحاولة كبته وأحيانًا قمعنا لمشاعرنا يقتلنا من الداخل ويقسو علينا ويصعب علينا حياة الأسر.

هـذه الصـورة هـي التي دفعتني وحفزتني عـلى كـسر حاجـز الصمـت المألـوف لدينـا معـشر الأسرى، ومحاولـة تحطيـم لتلـك الصـورة النمطيـة القاتلـة بتشـجيع مـن بعـض الأخـوة والأصدقـاء داخـل الأسر عـلى خـوض تجربـة الكتابـة في عمليـة توثيـق بعـض تجـاربي، وجـزء مـن مراحـل حيـاتي وإفـراغ مـا في جعبتي وإظهارهـا للعلـن، ولأطلـق العنـان لمشـاعري، وأفـك قيدهـا لتحلق في فضـاء الكـون معلنـة بأنني كنـت ومـا زلـت إنسـانًا كـما الآخريـن، أضحـك وأبكـي وأغضـب وأخطـئ وأصيـب وأظهـر شـجاعة وأخـاف أحيانًـا، وأحـزن (وهـي كثيرة)، وأفـرح (وهـي قليلـة)، بـل تـكاد أن تكـون معدومـة، وأتفاعـل مـع الأحـداث بحلوهـا ومرهـا.

إن هـذه التجربـة بمثابـة إعـلان لتحطيـم كل القيـود والحـدود الوهميـة التي أرهقتنـا؛ لأكتـب وأوثـق تجربتي بمراحلهـا ومواقفهـا وأحداثهـا المختلفـة كـما حدثـت عـلى مـدار أكثـر مـن اثنـين وثلاثـين عامًـا في الأسر وسـنين أخـرى خـارج الأسر.

ومـن أهـم هـذه الأحـداث والمواقـف: فقـدان الحريـة، فـراق الأحبـة، والأهـل والأصدقـاء، إلى غيابهـم بسـبب الوفـاة (شـقيقي الأكـبر ومـن بعـده والـدتي الحبيبـة)، والكثـير مـن المواقـف النضاليـة الإنسـانية، وكيـف أصرخ مـلء الصـوت دون أن يسـمع أحـد مـن رفـاق الأسر صرخـاتي التـي تحطـم كل مـا بداخـلي إلى شـظايا صغـيرة، وبعـد هـذا الإعصـار الداخـلي أعـود لألملـم جراحـي وبقايـاي لأعيـد بناءهـا وهندسـتها مـن نفسـي، ثـم أعيـد بنـاء الجـدران والمتاريـس مـن جديـد للاسـتعداد للضربـة القادمـة.

أما سبب العنوان لهذا الكتاب (أمي مريم الفلسطينية)؛ فلأن هذا حال أمي وكل أم فلسطينية وخاصة أمهات الشهداء والأسرى، وهن أكثر معاناة وأكثر ألمًا وصبرًا، ولأن هذا العمل مهدى لوالدتي ولكل أم فلسطينية، ولأن العدو الذي يغتصب أرضي ويسلبني حريتي ويهين كرامتي وإنسانيتي هو العدو الذي فعل كل هذا الجرائم بحق مريم العذراء وابنها المسيح عليهما السلام، فهي مريم الفلسطينية وابنها، وأمهاتنا وأبناؤهن وقع عليهم ما وقع على مريم وابنها، والمكان الذي عاشا فيه (فلسطين) وبرأيي أن فلسطين هي مريم بحد ذاتها، فكل ما له علاقة بمريم الأرض ومريم الإنسان هو عدو لهذا العدو.

أخوكم الأسير/ رائد شريف السعدي

سجن جلبوع

أكتوبر (تشرين أول) 2020م

وَيَنشَأُ ناشِئُ الفِتيانِ فينا عَلى ما كانَ عَوَّدَهُ أَبوهُ

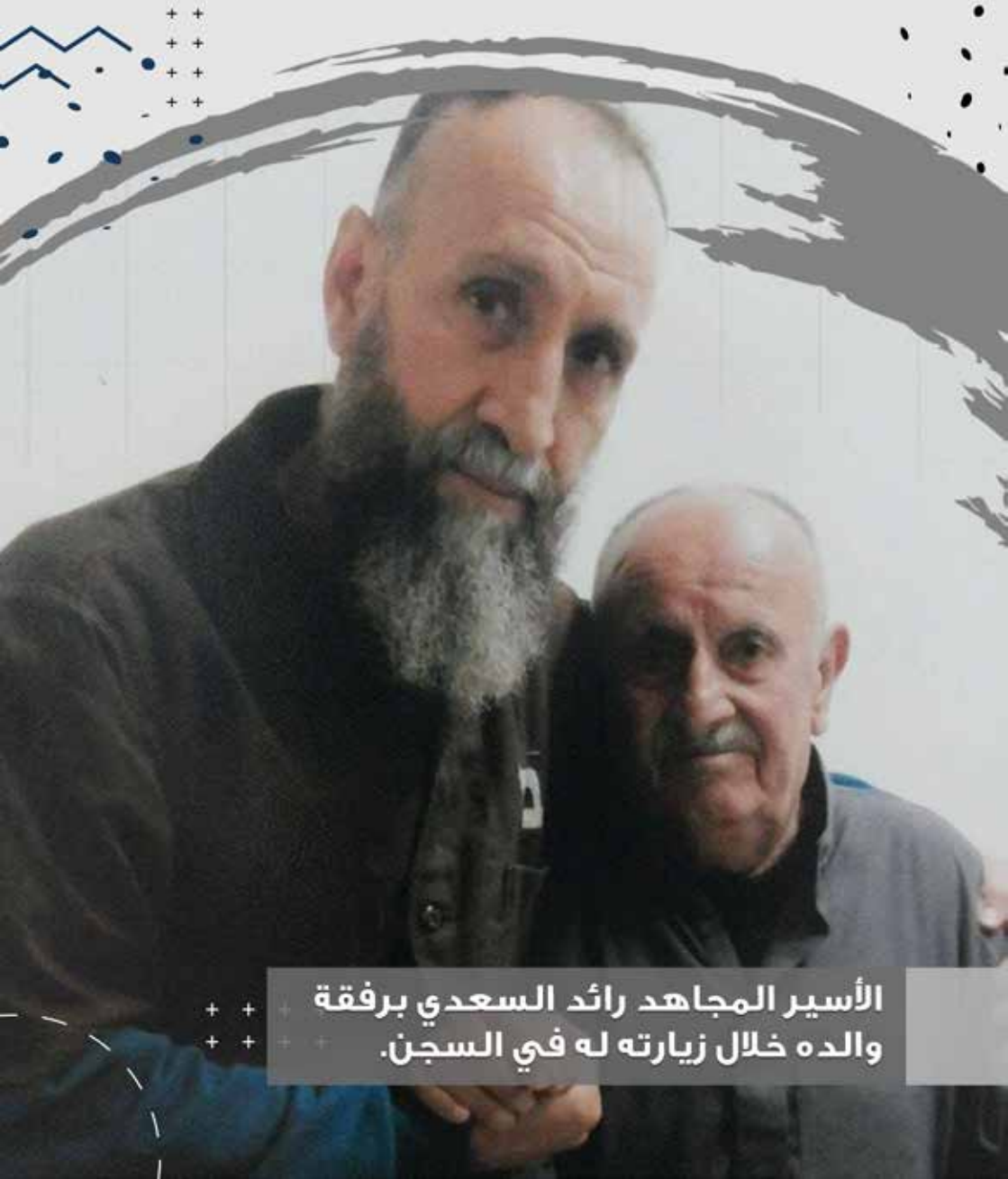

الأسير المجاهد رائد السعدي برفقة والده خلال زيارته له في السجن.

وَيَنشَأُ ناشِئُ الفِتيانِ فينا عَلى ما كانَ عَوَّدَهُ أَبوهُ

نشأت في بيت متوسط الحال منذ طفولتي في قرية سيلة الحارثية بمحافظة جنين، ووعيت على الحياة ونحن نعيش في بيت مستأجر، ثم انتقلنا إلى منزلنا الذي تم بناؤه، وهو منزل بسيط ومتواضع متلائم مع حالنا الاقتصادية؛ لأن والدي كان يعمل مدرسًا للرياضيات ودخله محدود ونحن أسرة كبيرة العدد والجميع ما زالوا بالمدارس.

في سنوات السبعينات تفتحت عيناي على قوات الاحتلال وهي تقتحم بيتنا بأعداد كبيرة وهي مدججة بالسلاح، وهم يعيثون بالبيت تخريبًا وتفتيشًا بحثًا عن سلاح بعد إخبارية عن والدي من أحد المتعاونين، ووالدي كان يعرف من هو ذلك الشخص وأخبرني ولا داعي لذكره حفاظًا واحترامًا لكرامات الناس، وبقي الوالد متابعًا وملاحقًا حتى خلال أدائه لمهنته التدريسية واتهامه أنه يحمل رؤى وأفكارًا وطنية وسياسية تؤيد منظمة التحرير الفلسطينية وهو يعلم الطلاب ويحرضهم على ذلك، إلى أن اتخذت سلطات الاحتلال قرار إبعاده عن التعليم وإخراجه للتقاعد؛ لأنهم لم ينجحوا بإدانته في تلك القضايا.

حقًا نشأت في تلك البيئة، وهذا البيت الذي كان الحديث فيه دائمًا من قبل والدي عن الثورة وعن الثوار وأفعالهم، وكان يذكر أسماء بعض

أبناء قريتي الذين التحقوا بالثورة واستشهدوا، وكانت إحداها قصة الشهيد راشد العمري الذي استشهد في بداية الثورة في منطقة بيسان، وكان هو المسئول عن مجموعته بعدما أصيب هو وأحد رفقائه، ولكونه المسئول كان يمتاز ببنية جسدية قوية، وقام بحمل زميله الجريح وبسبب أن إصابته كانت أشد خطورة، وبعد أن اجتازوا الحدود ووصلوا لمعسكرهم تعافى الجريح، أما راشد فقد استشهد من شدة نزفه للدماء.

راشد العمري (الشهيد) ابن قريتي كان قد قَدِم والده من قرية صندلة المحتلة في أراضي الـ 1948م وهي تقع شمال جنين، وكان هذا الرجل قد سكن وتزوج واستقر في السيلة الحارثية غرب جنين، أما شهيدنا الثاني واسمه أيضًا راشد العمري والذي سماه والده على اسم عمه الشهيد راشد العمري الأول. والأخير سار على درب عمه وأكمل دربه وقاوم الاحتلال واعتقل، ثم التحق شهيدًا بعمه إثر عملية اغتيال تمت له في منزله، وكان قد سبقه ابن عم آخر له هو الشهيد عبد الهادي العمري الذي شهد له الجميع في جرأته وبطولته في المواجهات مع الاحتلال الصهيوني خاصة في معركة مخيم جنين الشهيرة عام 2002م، وأنه صاحب اليد الكبرى وأقرانه في الصمود والمواجهات البطولية التي حصلت في حينه، ومن ثم تمكن من الخروج من الحصار والدمار الذي شهده مخيم جنين حينها، واستشهد هو أيضًا في قرية السيلة الحارثية بعد اشتباك مسلح مع وحدة خاصة صهيونية حاصرت المنزل ليلة عيد الفطر بتاريخ 06/ 12/ 2002م.

في تلك الأيام كنت أشاهد والدي وأسمع منه عن ملاحقة أجهزة الأمن الاحتلالي له واستجواباتهم المتكررة له.

في تلك الأيام الأولى من حياتي نشأت وتربيت على حبي لوطني ومقدساتي، وشاهدت في تلك السنين الأحداث الكبيرة التي كانت تحصل من مظاهرات في أنحاء الوطن وخاصة في العديد من المدن مثل جنين والقدس ونابلس والخليل ورام الله وطولكرم وغزة، ولكن كان أكثر هذه المظاهرات في نابلس والقدس وجنين والخليل ضد الاستيطان في تلك السنين، وكنا نسمع عن ارتقاء الشهداء من الرجال والنساء وطلاب المدارس من نابلس وجنين، وعندما أصبحت ابن ستة عشر عامًا بدأت أشارك بتلك الأحداث الفردية والبسيطة والتي كانت في تلك المرحلة تركز على حالة التوجه الوطني الرافض للاحتلال واستيطانه، وذلك برفع الأعلام الفلسطينية وإلقاء الحجارة وكتابة الشعارات على جدران المنازل تأكيدًا على عملية الانتماء لفلسطين ورفضًا لهذا الاحتلال، ولقد كان أول اعتقال لي لمدة 7 شهور تقريبًا وحينها خرجت من السجن أكثر وعيًا لقضيتي وتوجهي الوطني والسياسي؛ لأن السجون في حينها كانت تركز كثيرًا على التعبئة الفكرية والسياسية والوطنية وخاصة صغار السن.

كنت قبل الاعتقال قد تركت المدرسة وتوجهت للتعلم في أحد مراكز التأهيل المهني في طولكرم، وأمضيت شهرًا واحدًا فيه، ثم تم اعتقالي، وبذلك ضاعت عليَّ فرصة التأهل المهني.

في تلك السنين كان همي أن أعمل لكي أتمكن من مساعدة والدي الذي كان يتحمل عبء التكاليف الناتجة عن تدريس 3 أشقاء لي وهم كانوا جميعًا يكبرونني بالسن، وكانوا حينها يدرسون في الأردن، فتركت مقاعد الدراسة وعملت في أعمال البناء الشاقة جدًا على من هو بعمري.

أحيانًا كنت أبكي وأنا أشاهد الطلاب وهم يتوجهون إلى مدارسهم، ولكن سرعان ما أعود إلى عملي وأنا أحدث نفسي بأنني أنا من أصر على ترك مقاعد الدراسة والخروج للعمل، ولست نادمًا اليوم؛ لأنني فعلًا كنت أشعر مع والدي بالمسؤولية، وكان لذلك تأثير على مسيرة حياتي الخاصة والنضالية في تلك الأيام. وبعد خروجي من السجن لم أعد للتعليم المهني، وبدأت بالعمل، وبعد أن أنهت أختي الكبيرة أم محمد دراستها بالأردن تقدمت بطلب السفر للتعليم بالسعودية، وبعد الموافقة لها كان القرار أن أسافر معها؛ لأنه لا مجال لسفرها إلا بمحرم من الأهل، وتم ذلك بعد محاولات عدة لرفض سلطات الاحتلال السماح لي بالسفر خارج فلسطين. سافرت عبر الأردن للسعودية، وبقينا هناك لمدة سنة، أختي عملت مدرسة للتربية الإسلامية، وأنا كنت أعمل بمطعم صغير لإعداد السندويشات للطلاب بالمدرسة المجاورة، ومن ثم عدت إلى الأردن وبقيت هناك أربعين يومًا قبل عودتي لقريتي، وهناك بدأت مرحلة جديدة من حياتي بعد أن كنت أفكر بالالتحاق بالتجنيد للشرطة أو العودة للضفة، وذلك فترة حرب المخيمات الفلسطينية في لبنان مع حركة أمل عام 1985م، وبالصدفة طالعت بذلك اليوم جريدة الرأي الأردنية وقرأت خبر تطوع 13 شابًا فلسطينيًا للدفاع عن المخيمات، وتلك اللحظات كانت حاسمة بحياتي، وعلى أثر ذلك توجهت إلى مكتب (م. ت. ف) في عمان؛ للتطوع والدفاع عن المخيمات، وهناك كان لقائي مع رجل كنت أسمع عنه فقط بالإعلام والصحف وهو قائد فلسطيني وأسير محرر أمضى 15 سنة في سجون الاحتلال وهو المناضل (أبو علي شاهين).

وبذلك كانت بداية عملي النضالي المنظم، يومها سألني أبو علي إن كنت أتقن استخدام السلاح بعد أن أخبرته برغبتي، فأجبته بالنفي، فسأل: إن كنت أستطيع السفر إلى لبنان وحدي من خلال التهريب عبر الحدود الأردنية السورية، ثم اللبنانية، وأجبته بعدم معرفتي بتلك الحدود، يومها عرض عليَّ اقتراحًا آخر هو العودة للوطن وتشكيل خلية منظمة وممارسة العمل النضالي بداخل فلسطين المحتلة عام 1948م، وحينها لم أفكر مرتين ولم أتردد وأجبته بالقبول الفوري، ثم بدأ إعدادي لتلك المهمة وتدريبي على كيفية تصنيع العبوات الناسفة واستخدام السلاح الناري في إحدى مناطق عمان بين الجبال والوديان وبشكل سري وبعيدًا عن أعين أجهزة الأمن، ولا أعرف حتى اليوم أين هي تلك المواقع. وبعد أيام وفي 16/ 08/ 1985م عدت للضفة الغربية (جنين)، وكان التنفيذ، ولكنه سبقه تنظيم باقي الخلية وإعداد وتجهيز المواد لذلك. ثم توالت الأعمال، وكانت آخر أعمالي بالداخل الفلسطيني المحتل، وفي نهاية 04/ 02/ 1986م كانت آخر أعمالي بمحاولة اغتيال أحد المتعاونين مع الاحتلال حيث قمت بإطلاق ثلاث رصاصات عليه بشكل مباشر فأصبته بها؛ ولكنها لم تقتله وبدوره أطلق عليَّ رصاصتين ولكن ولله الحمد لم تصبني، وعلى أثر ذلك تم نقله من قبل الاحتلال إلى مستشفى العفولة وأمضى هناك مدة أسبوعين، ثم عاد لبيته، واستمر بعمله الخياني ومرافقة قوات الاحتلال بمطاردة واعتقال المجاهدين إلى أن تمكنت مجموعة من الفهد الأسود بالقضاء عليه وذلك في بدايات انتفاضة الحجارة عام 1987م.

أما الإعداد والتجهيز فكان يتم في أحد المُغَر بحارة القرية (السيلة الحارثية)، وكنا نقوم بإعداد العبوات والقيام بتجميع مادة الكبريت من خلال فصل المادة المشتعلة عن العيدان، وفي تلك الأيام كنت أخرج رفاقي من المغارة وأقوم بعملية التجميع وحدي للعبوة وذلك من أجل سلامتهم حرصًا ألا يحدث أي خلل أثناء تركيب العبوة، وكنت أعهد لأحدهم أن يتولى قيادتهم إذا حصل لي أي مكروه، وخلال توجهنا لتنفيذ عملية معينة أوقفتنا سيارة شرطة وكنت في حينها أنا وأحد زملائي داخل التاكسي، وبشكل عفوي وضعت العبوة تحت كرسي وبقيت جالسًا بمكاني، وتفحص الشرطي هوياتنا ولحسن حظنا أنه لم يجر تفتيشًا للسيارة، ووصلت إلى الهدف المحدد وهو سوق الخضار والمحطة المركزية داخل العفولة، وهي منطقة تعج برجال الأمن، فما كان مني إلا أن بدأت بأكل العنب في الوقت الذي كنت أضبط فيه عقارب الساعة للتفجير، ورفيقي ينظر إليَّ بعين الاستغراب والحيرة خوفًا من أن أثير انتباه رجال الأمن فيقوموا باعتقالنا.

بعد أن أنهيت هذه الأعمال أوقفت عملي وعلاقتي التنظيمية، ثم توجهت إلى مجال العمل بالزراعة وبقطاع البناء وأحيانًا بتجارة الملابس وأدوات الزينة، وأخيرًا عملت في أحد مصانع البلاستيك، وخلال عملي بذلك المصنع حدثت معي عدة إشكاليات إحداها كانت مع أحد العمال من الشباب العربي، وكان قريبًا من عمري عندما أخبرني أنه يريد أن يلتحق بالخدمة العسكرية ويتجند بجيش الاحتلال، وقتها نال مني ردًا شديدًا وقاسيًا وانتهت علاقتي به في ذلك الوقت، ولا أعلم

إن كان حقًا نفذ ما قاله لي، ولأنني لم أستمر طويلًا بذلك المصنع بعد أن تشاجرت مع عامل آخر من الذين كانوا يتزلفون كثيرًا لمدير المصنع ولحد لا يطاق مع هذا المدير الصهيوني، تركت العمل وقتها وقررت العودة للدراسة والحصول على شهادة الثانوية العامة والالتحاق بالجامعة ودراسة إدارة الأعمال والتخصص بإدارة المصانع، وهذا ما حصل، فقد قمت بإحضار كتب الثانوية العامة وبدأ أحد الأصدقاء بمساعدتي بدراسة الرياضيات واللغة الإنجليزية؛ لأنه مضى على مغادرتي المدرسة أكثر من أربع سنوات، ومن ثم التحقت بالمدرسة الخاصة في مدينة جنين (مدرسة العربية)، وفعلًا بعد سنة أنهيت دراسة الثانوية العامة بنجاح، وعلى أثر ذلك قررت السفر إلى الأردن؛ للدارسة ولكن سلطات الاحتلال رفضت كعادتها السماح لي بالسفر، فعدت مرة أخرى للعمل بالزراعة، ولم تمضِ إلا شهور معدودة حتى بدأ وهج الانتفاضة الأولى يشتعل عام 1987م؛ لتبدأ مشاركتي بها رغم ترددي في الأيام الأولى لخصوصية وضعي لأني كنت سابق عهد بالعمل العسكري المنظم، وبداية الانتفاضة كان يعتقد بأنها مجرد هبة صغيرة سرعان ما تتلاشى دون دوام، ولكنها الانتفاضة التي بدأت هنا وهناك، وما هي إلا أيام قليلة حتى عمت جميع أنحاء القطاع ومحافظات الضفة والقدس، ولم تقتصر على المدن الكبيرة والمخيمات فقط، بل عمت غالبية القرى بالضفة الغربية، ومن بينها قريتي السيلة الحارثية، وقد شهدت هذه القرية مواجهات عنيفة جدًا مع قوات الاحتلال كباقي القرى والمدن والمخيمات لمدة ثلاثة أيام ولياليها لم تستطع قوات الاحتلال دخول القرية؛ لشدة وعنف المواجهات فيها، وذلك لأن أغلب أهل القرية

من نساء ورجال وشيوخ وأطفال بالإضافة إلى بعض الشبان من القرى المجاورة وخاصة بلدة اليامون وقفوا صفًا واحدًا في مواجهة الاحتلال، وليبدأ الإعلان عبر مكبرات الصوت والمساجد بأن القرية منطقة محررة ويمنع دخول قوات الاحتلال إليها، وكان لي الشرف أن شاركت بكل الفعاليات والمواجهات ضد قوات الاحتلال حينها، ومشاركة إخوة وأصدقاء لي من قريتي بعضهم قضوا شهداء وآخرون جرحى، والبعض داخل السجون لسنين ثم خرجوا، والبعض دخل السجون وبعد الإفراج عنهم عادوا ليشاركوا بانتفاضة الأقصى المباركة عام 2000م ويستشهدوا بها مثل الشيخ نعمان طحاينة (أبو الحسين)، وقبله كان الشهيد صالح طحاينة الذي اعتقل وخرج من السجن ثم عاد للمقاومة فاعتقل وحكم ثلاثين عامًا وتمكن من الهروب من السجن، وعلى أثر ذلك تمت مطاردته من قبل قوات الاحتلال لينتهي به المطاف شهيدًا على يد قوة خاصة صهيونية تمكنت من اغتياله في رام الله عام 1996م.

منذ بداية الانتفاضة تمت ملاحقتي وتصنيفي على أنني من النشطاء والمطلوبين لأجهزة الأمن الصهيونية، واستمر ذلك لمدة سنتين إلى أن تمكنت قوات خاصة من المستعربين (وهم الذين يتخفون بزي عربي وقت تنفيذ مهمتهم) بمساعدة بعض العملاء من تحديد مكاني واعتقالي والحكم عليَّ بالمؤبد مدى الحياة مرتين، ومن ذلك التاريخ 28/ 08/ 1989م وأنا في سجون الاحتلال أتنقل بين السجون الصهيونية الموجودة على عرض وطول فلسطين المحتلة، ولم تشملني أي عملية تبادل شهدت عليها في سجني.

أعود لأيام الانتفاضة لأحدثكم عن بعض الأحداث والمواقف التي عايشتها من أحداث المواجهات، وبعض المواقف التي عشتها مع رفاقي بالمقاومة والنضال، وأول هذه الأحداث عن يوم الاقتحام الكبير.

بعد مواجهات متواصلة على مدار ثلاثة أيام بلياليها وقوات الاحتلال تحاول اقتحام قرية سيلة الحارثية دون فائدة، وفي ليلة الجمعة وقبل صلاة الفجر بقليل أخبرت بعض رفاقي الذين كانوا يرافقونني بالحراسات الليلية على مدخل القرية أنني سوف أدخل منزلنا للوضوء والتجهز للصلاة، وما هي إلا دقائق معدودة حتى قبل أن أنهي الوضوء إذا برفاقي يطرقون باب البيت بشدة ويصيحون بأن قوات الاحتلال بدأت بالاقتحام (يا رائد هيا اخرج لنا مسرعًا)، وبدؤوا الاقتحام من كل مداخل القرية الرئيسية ومن الجهات الأربع، وأيضًا من الطرق الفرعية وغيرها، وانتشروا حول القرية بين الأشجار وبكمائن لاعتقال بعض الشباب، وحصل ذلك فعلًا لبعض الإخوة وتم تكسيرهم؛ لأنها كانت سياسة، وهذه السياسة أمر بها من يتوهم الناس أنه بطل سلام (رابين).

خرجت مسرعًا مع إخوتي إلى حارة الجرادات قرب المسجد، وكانت نقطة التمركز الأساسية ومقر توجيه المجموعات التي تقوم بالحراسات الليلية، بدأت مكبرات الصوت والمساجد بالتكبيرات والنداءات لجميع أهالي القرية، وحقًا بدأت المواجهات مع قوات الاحتلال بالزجاجات الحارقة والفارغة والحجارة، وأطلقت قوات الاحتلال النيران بكثافة منقطعة النظير في تلك الفترة وخاصة قرب مسجد حارة الجرادات وعند البوابة الكبيرة، ومن عاصر تلك الفترة يشهد على ذلك. اقتربت قوات

الاحتلال من محيط المسجد من مدخل البلدة الرئيسي، ثم بدأت تقترب أكثر من عدة جهات، وتفرق الشباب في أنحاء القرية، ومنهم من بدأ بالتسلل من بين أشجار الزيتون إلى قرية اليامون، وعادوا لتجميع أنفسهم ومن ثم إلى القرية، ومن خلال مكبرات الصوت أعلنوا عن رفع منع التجول ردًا على أوامر قوات الاحتلال التي تعلن عن حظر التجوال في القرية، وكانت تلك في ساعات ما قبل صلاة الجمعة، وفعلًا تم كسر المنع، وبدأت عودة الشباب من كل نواحي القرية.

سبق تلك الساعات أنني انتقلت مع بعض الإخوة وخاصة صالح طحاينة من قرب المسجد إلى جهة البوابة الكبيرة في حارة الجرادات، وهنا كانت المواجهة الكبيرة والأخيرة مع قوات الاحتلال بالزجاجات الحارقة والحجارة، أوقفنا تقدمهم، وهناك شاركتنا النساء في حارة الجرادات ومجمع بيوت دار الهندي وهم أخوالي وخالاتي، وبكل صدق هناك تجلت مريم الفلسطينية، وكانت على رأسهم الحاجة أم قاسم أو أم صابر جرادات، هذه الحاجة هي مريم الفلسطينية التي لم تكتفِ بتشجيع الشباب على الصمود والمواجهة، بل كانت تشاركنا بإلقاء الحجارة، بالإضافة إلى أنها كانت تجمع لنا الحجارة في طرف ثوبها وترفعها لنا على جسر البوابة؛ لنرجم بها هؤلاء الجنود، وكيف لا وهي مريم الفلسطينية التي كان أربعة من أبنائها في تلك المواجهات مطلوبين للأجهزة الأمنية مع أحفاد آخرين لها، وبعدها بأيام تم هدم ما تبقى من منزلهم الذي كان قد هدم جزء منه في سنوات السبعين، بعد أن تم اعتقال ابنها الأكبر على أثر انفجار عبوة في يده، وحكم عليه بالسجن وتم تحريره في صفقه تبادل الأسرى مع أحمد

جبريل سنة 1985. منذ السبعينات لم تتوقف مريم الفلسطينية عن زيارة السجون لأبنائها الذين اعتقلوا جميعًا ولعشرات السنين ولسنين طويلة، كان يتواجد في السجون ثلاثة وأربعة من أبنائها ولحق بهم أحفادها أيضًا، وكل واحد منهم كان في سجن غير سجن أخيه ما كان يفرض على الحاجة وابنتيها وأحيانًا قريبات لهن بتوزيع أنفسهن للزيارة، فتذهب كل واحدة لزيارة أحدهم في سجن من السجون، وعلى مدار أكثر من أربعين عامًا وهن على هذا الحال، أليست هذه مريم الفلسطينية؟

أعود للمواجهات عند البوابة الكبيرة بعد أن تم إحاطتنا من كافة الجهات من قبل قوات الاحتلال، وعندها تحتم علينا الاختباء لبعض الوقت، صالح طحاينة غادرني لمكان قريب واختبأ في أحد المنازل، وأنا بمساعدة هؤلاء النسوة من خالاتي في عائلة الجرادات وعلى رأسهم الحاجة أم صابر دخلت ذاك المجمع من البيوت الأكثر خطورة وسخونة؛ لأن قوات الاحتلال اقتحمت هذا المجمع لدار الهندي، وهناك تركزت أكثر المواجهات، وفي ذاك المكان يوجد منزل الحاجة أم صابر، وكما ذكرت؛ أبناؤها الأربعة مطلوبون للاحتلال، ومنهم من كان من أكثر النشطاء في انتفاضة الأقصى.

عاثت قوات الاحتلال فسادًا وتفتيشًا في هذه البيوت، ولم يروع ذلك نساء دار الهندي والحاجة أم صابر، ولم يدخرن جهدًا من شتم واستفزاز وتحدٍ لهذا المحتل. في تلك الأثناء كان نصيبي أن أدخل بيت جدي في ذلك المكان، وهناك استقبلني خالي وخالتي وأدخلاني إلى مكان يقال له بالعامية (عكد) من داخل البيت، له مدخل صغير ولكن الإشكالية أن

البوابة الكبيرة للعكد كانت بالضبط تفتح على تجمع بيوت دار الهندي، والجنود يدخلون ويخرجون من هناك، وكل الفرق المتنوعة والذين قدِّر عددهم بحوالي 450 جنديًا. المفاجأة أنني عندما دخلت لذلك المكان وجدت خالي يخفي حوالي 10 تجمعوا من المنطقة احتياطًا من اعتقالهم من قبل قوات الاحتلال، وأكثر دقة وخوفًا من تكسيرهم، وأنا المطلوب بينهم قلت لهم: إذا قبض علينا الآن محقق تكسيركم لوجودي معكم.

وبكل صدق كان يتخلل ذلك الحديث بعض النكات والمزاح، وكانت خالتي وخالي يحضران لنا الشاي وبعض الأكل، والأهم أنهما يراقبان الأوضاع خارج العكد وينقلان لنا الأخبار، وساعدهما في ذلك كبر سنهما وأنهما غير مطلوبين للاحتلال، ومعرفة خالي للغة العبرية ساعدته على معرفه ما يدور بينهم من أحاديث.

بقيت في ذلك المكان ساعات قليلة حتى بدأ الشباب يعودون للتجول في القرية، وفوجئ الجميع بخروجي من ذلك المكان لخطورته، وحقًا حصل هناك حدث، فقط الله -سبحانه- نجانا من التكسير والاعتقال، وفي تلك الأثناء على السدة (مكان يستخدم لتخزين تموين البيت) فرقة من الجنود دخلوا لذلك المكان، وأقدم أحدهم على كسر بوابة العكد، ووقف على البوابة ونظر في الداخل، والعكد معتم بعض الشيء وفيه حاجات البيت المستخدمة، وأنا أتلو ﴿وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [يس:9]، ولله الحمد لم يدخل ولم يفتشوا المكان وعادوا وغادروا المكان. أحد الشباب قال لي: أريد أن أنزل وأعيد غلق الباب، قلت له: اتركه كما هو ربما تأتي فرقة

أخرى من الجنود وإذا وجدوه مغلقًا فربما يكسرونه من جديد ويدخلون، أما إذا رأوه هكذا فربما يعتقدون أنه تم تفتيشه من فرق أخرى، وما دام غير مغلق لن يشكوا أن بداخله أحدًا وهو على هذا الحال. وحقًا هذا ما حصل حيث حضرت فرقة ونظرت وغادرت، ولو دخلوا لوجدوا عددًا كافيًا من الشباب يومها، ولكن الله سلم.

نعم إن نساء دار الهندي لم يدَّخرن جهدًا بالتمويه عليهم وإشغالهم بالشجار معهم ولعنهم، كيف لا وهن مريم الفلسطينية، ومنذ ذاك اليوم أصبحت مطاردًا بشكل رسمي وكذلك مطلوب حيًا أو ميتًا لأجهزة الاحتلال. وبعد أن عدت إلى المنزل وجدت أنهم قد عاثوا فسادًا وتفتيشًا في المنزل، وبدأت معاناة والدي والأهل من المداهمات المتكررة للمنزل، حتى وصل الأمر بهم إلى اعتقال والدي، ولم يسلم من أذاهم أحد، والدي أُعتقل وضُرب وعُذب في التحقيق في الفارعة وبقي عدة أشهر حتى أُفرج عنه، أخي الأكبر لقي من الضرب والإهانة في المنزل ما لقي حتى وصل بهم الأمر إلى محاولة إلقائه من فوق السطح، وبدأ الصراخ مما دفع والدي ووالدتي للخروج لحمايته والدفاع عنه، وهذا الحديث دفع أخي أن يترك المنزل ويغادر هو وزوجته وطفلهما الصغير إلى منزل عمي.

وخلال سجن والدي غادر إخواني الآخرون البيت، كل واحد منهم وجد لنفسه مكانًا عند أحد الأقارب؛ لأن قوات الاحتلال كانت تداهم المنزل في منتصف الليل وتنكل بكل من تجده، وأخي الأصغر مني نال نصيبه أيضًا من التعذيب والتهديد بإطلاق النار عليه إن لم يخبرهم عن مكان تواجدي. وفي نهاية المطاف تم اعتقاله لعدة أيام في معتقل

الفارعة حيث لاقى ما لاقى من عذاب وضرب، وكذلك أخي الأصغر ابن التسعة الأعوام لم يسلم منهم حيث كان يتم التحقيق معه واستجوابه في منتصف الليل حول موعد حضوري إلى المنزل ومكان تواجدي، وهذا الإجراء التعسفي كما كل الإجراءات التي يقوم بها الاحتلال دفع والدتي _رحمها الله_ إلى ترك المنزل ليلًا والنوم برفقه أخي وأختي الصغيرين في بيت مجاور لنا. لعجوز تسكن وحدها إلى أن خرج والدي من السجن وعاد للمنزل، يومها رأيت والدي يبكي وربما لأول مرة في حياته عندما دخلت لأسلم عليه، لم يتحمل مشاهدتي، عانقني ودخل الغرفة الأخرى وطلب مني الخروج فورًا خوفًا من اقتحام المنزل واعتقالي، وأوصاني أن أكون حذرًا جدًا؛ لصعوبة ما لاقاه من تعذيب، وهذا بالتأكيد من خوفه عليَّ إن تم اعتقالي، ماذا سيكون مصيري؟ وكيف سوف أعذب؟ وأوصاني أن أحذر من الاعتقال فهم ناقمون عليَّ كثيرًا.

وقبلها كان قد أرسل لي من داخل السجن أن لا أوافق على تسليم نفسي مقابل الإفراج عنه؛ لأن هذا كان شرطهم في البداية، إلا أن والدي قد رفض وقال: أيام وسيضطرون للإفراج عني، ولكن ذلك الموضوع أخذ عدة شهور. وفي إحدى الليالي كنت أنام في منزل أحد الأقارب، قبل أذان الفجر وإذا بصاحب المنزل يوقظني وهو في حالة ذهول قائلًا لي: «استيقظ أما زلت نائمًا، قوات الاحتلال تقف على باب المنزل يريدون تفتيش المنزل». خرجت من الجهة الأخرى حافي القدمين وتوجهت نحو حارة الجرادات من خلف مدرسة البنات، والقرية تنتشر فيها قوات الاحتلال وتداهم وتفتش المنازل ومنها منزلنا ومنزل جدي لأمي؛ ولعدم معرفتي

في البداية أين هم؛ دخلت إلى منزل الأستاذ فايز جرادات وجلست خلف السور وشاهدت الجنود قادمين من جهة المدرسة، وكأنهم شعروا أنني سرت في تلك الطريق، صعدت على درج المنزل وطرقت باب بيته، سألني مين؟ قلت: رائد، وقوات الاحتلال تلاحقني. قال: ادخل يا خال. فهو من عائلة الجرادات وهم أخوالي.

دخلت إلى بيته وأولاده الصغار وأهل بيته نائمون، فقال: ابق هنا حتى شروق الشمس لنرى ماذا في الشوارع، ولأن بيته مرتفع وهو مقابل بيتنا كنت أشاهد الجنود في منزلنا وهم يتخفون في الطرقات من حوله لعلهم يتمكنون من اعتقالي وأنا مقابلهم أراقب، وبعد قليل بدأت مجموعات من قوات الاحتلال السير في شوارع القرية باتجاه مخارجها، مجموعة تخرج من حارة الجرادات ومعهم خالي؛ لأنهم كانوا يبحثون عني في بيتهم، ومجموعه أخرى تغادر منزلنا ومحيطه، وجنود المجموعة التي دخلت لبيت قريبي اعتقلوه لساعات ثم تركوه، مجموعه أخرى تمر من باب المنزل الذي أجلس بداخله، وهكذا استمرت الأحداث بالليل والنهار إلى تلك الليلة الطويلة.

جدي يحرق حصاد أربعين عامًا من شعر والدي وفكره

والد الأسير المجاهد رائد السعدي بانتظار حريته.

جدي يحرق حصاد أربعين عامًا من شعر والدي وفكره

جدي _رحمه الله_، مثل أقرانه من أبناء جيله، عايش نكبة 1948م ونكبة 1967م وهزائم العرب وضياع فلسطين، ترسخت في قلوبهم وأذهانهم حالة من الرعب والشعور بالهزيمة وقلة الحيلة، وشعاراتهم التي أصبحت رائجة: «الكف لا تلاطم المخرز، وأن الجيوش هزمت ولم يتحرر الوطن، أنتم تريدون تحريره؟!». سيطر عليهم الشعور بالضعف والوهن، بل أصبحت نفوسهم مهزومة. جدي _رحمه الله_ يخاف على أولاده وأحفاده مثل كل أب وجد.

في أحد أيام تواجدي في سجن جنيد، يحضر إلى هذا السجن أحد أبناء قريتي رياض، يخبرني أن جدي أشعل النار في الموقد، ثم سكب عليه الماء، وهو يمازحني ضاحكًا، ثم يكرر ذلك ويشير لي بيده أن الحاج شريف، جدي، لم يكتفِ بالحرق، بل سكب الماء في الموقد بعد الحرق وجلست معه استوضح الأمر، وكانت المفاجأة أن جدي بعد أسر والدي وأنا ملاحق من قوات الاحتلال، والدي كان قد وضع عند جدي كتبه وأوراقه الخاصة، ومن بينها مخزون كامل من قصائد الشعر التي كان ينظمها على مدى أربعين عامًا، أي تاريخ شعري، فما كان من جدي إلا أن وضع كل هذه الأوراق والقصائد في موقد النار وحرقها حتى أصبحت رمادًا، ولم

يكتف بذلك، بل حتى تطمئن نفسه، سكب في الموقد ماء حتى لا يبقى لها أي أثر. انتظرت موعد زيارة الأهل وسألت والدي عن ذلك، وحقًا كان حزن والدي كبيرًا وأخبرني بالقصة، وقال إنه بعد خروجه من الأسر، ذهب لجدي وسأله عن أوراقه وكتبه، فرد عليه جدي أنها قد حُرقت. يقول والدي: صدمة كبيرة بل كانت فاجعة بالنسبة لي بأن يذهب رصيد وحصاد أربعين عامًا هباءً منثورًا، لماذا أحرقتها؟! فيرد جدي أنه خوفًا عليه أي (خوفًا على والدي) فعل ذلك، يخبرني والدي أنه عاد للمنزل مهمومًا وحزينًا، وأنه نام في فراش المرض ثلاثة أيام، ولأن والدي كان يحترم جدي ويبره لم يستطع أن يفرغ غضبه أو يتحدث بشيء مع والده، وأنا حمدت الله أن الفاعل كان جدي حيث إنه لو كان أحدنا لربما وقعت مصيبة وأفرغ والدي غضبه على رؤوسنا. سألت والدي ألا تتذكر شيئًا من هذا الشعر؟ تنهد تنهيدة حزينة، كلها ألم ووجع، ثم أتبعها ابتسامة، وقال: قصائد عمرها أربعون عامًا، من أين لي أن أتذكرها؟! الله يسامح جدك!

القدر يسّهل السفر

مطار عمان المدني (مطار ماركا)
في السبعينات.

القدر يسّهل السفر

عـمٌ لي يعمـل في السـعودية ويوجـد عائلـة فلسـطينية تسـتأجر بيتـه الموجـود في الأردن، وأبنـاء هـذه العائلـة يتواجـدون في المنطقـة التـي حـددت لنـا للسـفر في السـعودية، وقـد زودنـا عمـي بالعنـوان حتـى ننـزل عنـد هـذه العائلـة، وبعدمـا أنجزنـا جميـع المعامـلات وأوراق السـفر، ولـولا تسـهيل القدر لواجهتنـا مصاعـب ومشـقات الله وحـده يعلـم قدرهـا؛ لبعـد المسـافة وصعوبـة السـفر هنـاك للقـادم.

كان صبـاح يـوم الخميـس عندمـا توجهنـا لمطـار عـمان الدولي وجلسـنا في قاعـة الانتظـار، وهنـا بـدأ التيسـير مـن الله عندمـا التقينا بامـرأة وطفلهـا الرضيع متوجهـة إلى زوجهـا الـذي كان يعمـل في إحـدى بنـوك الريـاض، وهـي عائـدة مـن زيـارة للأهـل.

وهـذه المـرأة صديقـة لأختـي مـن أيـام الدراسـة الثانويـة في مدينـة جنـين، وهـي مـن قريـة مجـاورة لقريتـي تسـمى رمانـة، وقـد تبـين فيـما بعـد أن والـد زوجهـا أو عمهـا هـو زميـل والـدي في سـلك التعليـم، وقـد دَرَّس والـدي في قريتهـم 7 سـنوات، ودرَّس زوجهـا، ولم تكـن قـد التقـت بهـا منـذ تلـك الأيـام، وقـد أصرت هـذه السـيدة أن تسـتضيفنا عندهـم، وهـذا حـال الفلسـطينيين في الغربـة، فعندمـا يلتقـون يصبحـون كأنهـم عائلـة واحـدة

بالغربة وتتوثق العلاقات بينهم، وهي أعلم بهذه المسافات والأماكن البعيدة بعد ما عرفت العنوان الذي نقصده، ثم إن زوجها سيحضر للمطار لاستقبالها.

وإلى جانب هذا الواجب والإكرام الذي قدموه لنا، هي فرصة لتذكر أيام الماضي والدراسة معًا، التقينا بزوجها وهو بدوره رحب بنا كثيرًا كونه التقى بجيران له، استضافونا في بيتهم، وفي اليوم التالي يوم الجمعة توجهنا معهم لعائلة فلسطينية أخرى، كانوا قد أعدوا وليمة للجميع، وفي ذاك المساء بعد أن تقرر سفرنا من الرياض إلى مدينة الدوايمة، وهي على بعد حوالي ثلاثمائة كيلو متر، اصطحبنا بسيارته الخاصة إلى محطة سيارات، شكرنا هذا الرجل وعائلته الكريمة على حسن استقبالهم وضيافتهم لنا، ركبنا سيارة الأجرة لذلك العنوان، وقبل ذلك كان هذا الرجل قد تحدث مع زميل وصديق له يعمل في فرع البنك، وهو الآخر مع عائلته وهو من قرية الياموون، وأبلغه أن يقوم بانتظارنا هناك، ترك لنا شقته مفتوحة، كونها موجودة في الطابق الثاني للبنك؛ لأن أهل بيته لم يعودوا من زيارة لهم للأهل في الأردن. بعد ساعات وصلنا للمكان ودخلنا المنزل، وفي اليوم التالي أتى الرجل وأنهينا الأوراق في المؤسسة التعليمية، وكان التعيين في قرية تبعد حوالي ستين كيلو مترًا، أقلنا هذا الرجل بسيارته باكرًا وتوجهنا لتلك المدرسة في تلك القرية، وبعد الدوام عدنا للمدينة، ثم حضرت مدرِّسة أخرى وزوجها وهما فلسطينيان، الزوج من غزة والزوجة من مخيم البقعة، وكانوا قد سبقانا بسنة بتواجدهما في السعودية، وعبرا لنا عن حجم المعاناة التي عانياها في

السنة الأولى لقدومهما رغم وجود أقارب لهما يعملون قريبين من هذه القرية؛ لذلك هما أكثر من شعر وتعاطف لمعاناتنا، وأصرا أن يصطحبنا معهما لمنزلهما وهذا ما حصل، شكرنا الرجل لحسن ضيافته وعدنا للقرية مع هذه العائلة التي توثقت العلاقة والإخوة والصداقة معهم، وبعد وصولنا للقرية التقينا بعائلتين، الأولى من مخيم طولكرم، والثانية من مخيم جرش في الأردن، استأجرنا بيتًا وسكنا هناك، ولغرابة القدر أن هذه السيدة الكريمة من مخيم البقعة والدها كان يعمل في خدمات الأمن في مدينة جنين قبل حرب 1967م وهو صديق لأحد سكان قريتنا وهو تاجر، ووالدي يعرف هذا الرجل.

بعد فترة ذهبت للعمل في ورشة لتعليم السيارات، يعمل فيها اثنا عشر هنديًا، في البداية نظروا إليَّ بنظرة عدم رضا، من هذا الشاب ابن التسعة عشر عامًا الذي يتسلم المسؤولية عن هذه الورشة؟ والعمال الذين فيها قد أمضوا فيها سنين من العمل ومنهم من يكبرني بأكثر من عشرين عامًا، بعد إشكالية مع اثنين منهم وجدوا جدية مني ودعم صاحب الورشة، عادت الأمور لطبيعتها، والحقيقة أنني كنت قاسيًا معهم، وأنا غير محق بذلك، لكن ذلك كان لصغر سني حتى إن أحدهم أبدى نوعًا من الاستعطاف والخوف بعد أن اكتشفت أنه أخذ مبلغًا من المال لجيبه الخاص من أحد الزبائن على الرغم من كبر سنه، وخاف أن أبلِّغ صاحب الورشة عنه، ولكني لم أفعل. أما الثاني فبكى خوفًا من أن يفقد عمله، ولكن ذلك لم يحصل أيضًا، وبعد فترة قصيرة أنا الذي غادر العمل كوني لم أكن على معرفة جيدة به، ولكن قبل أن أترك هذا العمل،

حدث أمران، الأول كان غريبًا عليَّ وفي أول الأمر تعاملت معه من باب السخرية والسذاجة، وهو أن أحد الشبان دخل للورشة وقال لي أريد تغبير هذه السيارة إذا عندكم تغبير، وقفت لأفهم ما يطلب، ومحتار مما يقول هذا الرجل، تغبير ما أفهمه من هذه الكلمة هي غبرة تراب كما نقول، تغبير السيارة وتصبح متسخة وتحتاج للغسيل والنظافة، أما أن أغبرها أنا في ورشة خاصة، قلت للرجل اسمع اذهب إلى خارج الورشة على بعد عدة أمتار هناك يوجد رمل وخذ بيدك قطعة من الكرتون ثم ابدأ برش الرمل عليها وتغبيرها، كانت دهشته أشد من دهشتي عندما أخبرني بالتغبير، واعتقد الآخر بأني أسخر منه، وعندما أراد الخروج توجهت بالسؤال لأحد العمال الهنود واستوضحت منه، واتضح الأمر أن الموضوع جدي وهو سهل جدًا ومردوده المادي جيد، على تغبير السيارة كانوا يدفعون مئه ريال، وهي بكل بساطة يضع قليلًا من الزيت المحروق وبعض السولار في مضخة الهواء التي تستعمل للدهان، ثم يبدأ برش السيارة حتى تصبح بشكل متسخ، وهذه إشارة على أنها قد خرجت من كراج عرض السيارات حديثًا، ويومها تم ذلك، والصحيح أن هذا الفعل كان مستغربًا جدًا بالنسبة لي.

أما الحدث الثاني فقد كان شخصيًا لي مع أحد الرجال الذين دخلوا للورشة وكان على معرفة بصاحبها، وبعد أن جلست معه وتحدثت وإياه وإذا به يفاجئني بطلبه قائلًا: هل تزوجني أختك؟ كما يقال الله لا يضع أحدًا مكانه، لم أبقِ مسبة ولا شتيمة إلا وأمطرتها على رأسه منها وتوعدته بالقتل إن بقي في الورشة، ذهل الرجل من شدة غضبي

ومن هذا الكلام الذي سمعه، وأصبح كل جسده يرتجف، وبصعوبة استجمع قوته وقاد سيارته لخارج الورشة وجلس يتمالك نفسه محاولًا استيعاب ما سمعه وما حصل، ثم ذهب ولم أعد أشاهد وجهه حتى تركت ذلك المكان، وربما يسأل سائل ما سبب كل هذا الغضب؟ الحق أنه يوم قدمت للسعودية، والتقينا مع بعض المغتربين، سمعنا أحاديث قد حصلت مع بعضهم، ولا أعرف مدى صحة هذه الأحاديث، ولو حصلت فربما تكون بشكل فردي واستثنائي، وهي بلد كبير ويحدث من هذه الأحداث في هذا البلد وغيره، وأكثر من ذلك، ولكن ذلك أحدث في نفسي ردة فعل جعلتني حذرًا من كل شيء، بل أتعامل مع الكثير من الأمور بحدة، وبردة فعل مبررة أو غير مبررة، أما حقيقة ما وجدته وعايشته في تلك القرية فلم أجد منهم إلا كل حب واحترام وتكريم جميعًا، رجالًا ونساءً، وهم شعب يحب الضيف ويكرمه، وأنهم لم يتركوا مناسبة إلا ودعوني إليها حبًا وتكريمًا منهم رغم تقصيري بالاستجابة لهذه الدعوات، وأخص بذلك جارنا وهو شقيق صاحب البيت الذي نسكنه، زارني في بيتي وتفقد حالي وكان مثل أبيه وهو رجل كبير السن، ودعاني لبيته وزرته، وأهل بيته الكرام الذين توثقت علاقتهم بنا، وكانت أمه بمثابة أم لنا، وهي سيدة فاضلة، يوميًا إبريق قهوة وطبق تمر من أجود التمور تقدمه لي، وتخصني بذلك، حتى طلبت من أختي أن تبلغ هذه الحاجة الطيبة أن لا تكلف نفسها، وأني شاكر جدًا لها وكما أني لا أشرب هذه القهوة.

في بداية أيامي لم أكن على معرفة بثقافة أكل التمور في الصباح إلا بعد فترة زمنية أصبحت أتناول هذه القهوة وأفضلها على غيرها من الأنواع الأخرى، وفي أحد الأيام كنت أجلس عند عتبة الباب الذي أسكنه، وكان قد حل وقت صلاة العصر وإذا بابنة هذه الحاجة وهي طفلة في الصف الأول أو الثاني الابتدائي، وأيضًا طالبة تدرسها أختي تنظر إليَّ من أمام بيتهم المقابل، وقد رفع أذان صلاة العصر وأنا جالس ومعي كوب من الشاي ومشعل سيجارة، ولم أكن حينها مواظبًا على أداء الشعائر الدينية والصلاة. نادتني هذه الطفلة وعلى استحياء شديد وقد وقفت قرب باب منزلهم الذي كان نصف مغلق، وأطلت برأسها تناديني وبلهجتها الجميلة اللطيفة، هداك الله يا رائد قم صل العصر، ثم أغلقت الباب مسرعة للداخل، فهي ببراءتها وبتربيتها وثقافتها أمر غريب ومستهجن أن يرفع الآذان وينادي للصلاة ورجل يبقى جالسًا ولا يلبي للمسجد، ولله الحمد هي أشهر قليلة وإذا بي أواظب على كل الشعائر نادمًا على كل ما مضى من عمري ومن تقصيري، وربما كان ذلك بفضل دعاء تلك الطفلة البريئة هداني الله، أما عن باقي الإخوة الفلسطينيين الذين كانوا معي بالقرية لم تفلح كل محاولاتهم بتعليمي لعب أوراق الشدة؛ لأكون العضو الرابع الذي تكتمل به شروط اللعبة؛ لأنني لم أكن أرغب بتعلم هذه اللعبة، أما لعبة الشطرنج فلم يفلح أحد منهم بهزيمتي، لا أبو سوزان ولا أبو يوسف، وبعد عدة سنين وأنا في الأسر، يدخل إلى السجن اثنان من أبناء أبو يوسف اللذين كنت أعرفهما، واحد بسن الرابعة والآخر بسن السابعة تقريبًا، يوسف ومحمد، أما محمد فقد

تـم تحريـره مـن الأسر بصفقـة لتبـادل الأسرى وصفقـة وفـاء الأحـرار وأُبعـد للخـارج.

بعـد تلـك السـنة التـي قضيتهـا في السـعودية عـادت أختـي أم محمـد وزوجهـا وابـن عمـي للعمـل في السـعودية، وأصبحـت مديـرة لإحـدى المـدارس، لمـدة اثنـي عـشر عامًـا وابنهـا الأصغـر أنهـى هـذا العـام دراسـته للصحافـة في جامعـة اليرمـوك، وابنتهـا الكـبرى كانـت قـد أنهـت دراسـة الرياضيـات، وهـي مـع زوجهـا وبناتهـا يعيشـون ويعملـون في دبي وأنـا عـدت لـلأردن، ومـن ثـم لفلسـطين، وهـا أنـا الآن وحتـى كتابـة هـذه السـطور في سـجون الاحتـلال، في وطنـي.

ما ندمت عليه في الأردن وما لم أندم عليه

جبل القلعة أحد المعالم السياحية في الأردن.

ما ندمت عليه في الأردن وما لم أندم عليه

عـدت مـن السـعودية لـلأردن، تنقلـت بـين مدنهـا لزيـارة أقـاربي، وفي أحـد هـذه الأيـام سـافرت مـن الزرقـاء إلى عـمان، وعندمـا مـررت وسـط العاصمـة وقريبًـا مـن سـوق الذهـب، أوقفتنـي امـرأة في سـن الخمسـين تقريبًـا، نادتنـي يـا ابنـي أنـت مثـل ابنـي وهـي تقـف أمـام إحـدى الصيدليـات، لا أعـرف توصيـف حالتهـا في تلـك الفـترة، هـل كانـت توتـرًا وترقبًـا وخوفًـا مـن شيء؟ أم هـي نـوع مـن المـزح؛ لأنهـا تطلـب مسـاعدة وحاجـة لهـا مـن شـخص غريـب، قالـت أنـا مريضـة وأطلـب منـك أن تشـتري هـذا الـدواء، سـلمتني علبـة دواء فارغـة، وفي تلـك الفـترة كان يشـاع بـين النـاس عـن حادثـة كشـفتها أجهـزة الشرطـة تتعلـق بـآداب، وأن الموضـوع فيـه امـرأة وفتيـات واسـتخدام عقاقـير وأدويـة محظـورة ومانعـة للحمـل، ولا أعـرف صحـة هـذه الأحاديـث «شـائعات»، ولكـن ارتبكـت أول الأمـر بطلـب هـذه السـيدة التـي لا يظهـر عليهـا أي علامـات سـوء، بـل امـرأة بسـيطة، أخـذت علبـة الـدواء مـن السـيدة ودخلـت الصيدليـة، وسـألت الشـخص المكلـف هنـاك عـن نوعيـة هـذا الـدواء ولـماذا يسـتخدم؟ أجابنـي لا يعـرف وإذا أردت معرفـة السـبب عـليَّ التوجـه للطبيـب في الطابـق العلـوي، أخـذت العلبـة وأردت الصعـود للطبيـب، لكنـي تخوفـت مـن جـواب الصيـدلاني وهـو المختـص بالأدويـة، عـدت للسـيدة،

أعـدت لهـا العلبـة واعتـذرت لهـا؛ لأن هـذا غـير موجـود في الصيدليـة، ثـم غـادرت المـكان مسرعًـا مـترددًا، أحـدث نفـسي وبحـيرة كبـيرة لازمتنـي كل هـذه السـنين ومـا زالـت، لمـاذا لم أتحقـق مـن الأمـر بجديـة أكثـر؟ وهـل حقًـا كانـت هـذه السـيدة بحاجـة لهـذا الـدواء؟ وأنهـا حقًـا مريضـة وأننـي قـصرت بمسـاعدتها، وتوفـيره لهـا وتخفيـف ألمهـا، وهـذا مـا يشـغلني حتـى اليـوم، أو كانـت غـير ذلـك وهـي فعـلًا تريـده لحاجـات أخـرى، كيـف أنـني لم أمنـع ذلـك وأكشـف عنـه بحـق، كان الأجـدر بي أن أبحـث للسـيدة في كل الصيدليـات وأقدمـه لهـا، وعواقـب ونتائـج الأمـر متروكـة لأمـر الله.

أمـا الحادثـة الثانيـة فأنـا غـير نـادم عـلى ذلـك رغـم أننـي لا أعـرف نتائجهـا. كـما ذكـرت كنـت أتنقـل في الأردن مـن مدينـة لأخـرى، وفي الفـترة التـي كنـت أتواصـل مـع منظمـة التحريـر، كنـت عـلى موعـد ذات يـوم لأمـر يتعلـق بالتنظيـم، وهـذا اللقـاء يجـب أن يتـم في اليـوم التـالي صباحًـا، وفي وسـط عـمان في محطـة الباصـات العامـة في الليلـة السـابقة للموعـد تواجـدت في بيـت صغـير ومتواضـع عنـد عمتـي في الزرقـاء، والبيـت مكـون مـن غرفتـين ومطبـخ صغـير وحمـام، عمتـي وأبناؤهـا غـير متواجديـن في البيـت، حـضر أخـي -رحمـه الله- وكان قادمًـا في زيـارة، وبعـد أن سـهرت وأخـي توجـه للنـوم، خشـيت أني إذا نمـت لم أسـتيقظ باكـرًا، وأتخلـف عـن موعـدي، أخـذت جهـاز التسـجيل للمطبـخ، وجلسـت هنـاك؛ لأن الغرفـة الثانيـة فيهـا أغـراض البيـت وأنـا لا أريـد النـوم، جلسـت عـلى مقربـة مـن الخشـب، واسـتمعت لكاسـيت التسـجيل، وبقيـت في هـذه الحالـة حتـى شروق الشـمس، وصعوبـة الأمـر أن أنبوبـة الغـاز فارغـة ولا مجـال لتبديلهـا فالوقـت متأخـر، ولم أجـد فنجـان شـاي

أو قهوة يساعدني على السهر، وما كان مني إلا أن دخنت طوال الليل، كنت يومها من المدخنين، ولكني ولله الحمد أقلعت عن ذلك، وفي ساعة متأخرة استيقظ معي أخي وقال أرح نفسك وقم للنوم ولو بضع ساعات، وهو لا يعرف إلى أين أنا أريد التوجه، وفقط عندي موعد في اليوم التالي صباحًا، وعدني أنه سيوقظني، إلا أني أصررت على البقاء يقظًا، أشرقت الشمس وأنا مرهق جدًا من طول السهر، خرجت من المنزل، توجهت إلى محطة الباصات وتوجهت إلى عمان، وصلت المكان قبل الموعد، وانتظرت هناك وعند الموعد لم يحضر أحد، انتظرت لساعة أخرى وربما أكثر، ثم فتشت جميع المحطة مرة تلو الأخرى، ولكن دون فائدة، توجهت لمنزل خالي في عمان لزيارته، ومن ثم عدت لمحطة الباصات للعودة لمنزل أخي الذي كان يدرس في جامعة اليرموك في إربد، ركبت الباص وسافر بنا حوالي ساعة أو أكثر حتى وصلنا إربد، حقًا كنت شديد التعب والإرهاق لعدم النوم ومشقة السفر، وعندما وصلت مدينة إربد طلبت من السائق أن يتوقف حتى أنزل في المنطقة القريبة من بيت أخي، وقد أخطأت التقدير في قرب البيت، فقلت للسائق معذرة ليس هذا المكان، بل هو للأمام بعض الشيء، وبكل صدق أنا متعب، مرهق جدًا، ونصف نائم، عندما توقف سائق الباص وبعفوية شديدة بدأ يصرخ عليَّ، هو رجل ثلاثيني حسب ما اعتقدت حينها، وبنيته الجسدية قوية، حاولت أن أهدئه واعتذر منه لأني لا أعرف المنطقة جيدًا، وهذا خطأ غير مقصود، وحقًا أن أخي يسكن في هذا المكان من فترة زمنية قريبة وأنا لا أعرف المنطقة جيدًا إلا أن هذا الرجل كان حاد جدًا ويعتريه الغضب، حمل مفتاحًا يستخدم للتصليح الميكانيكي

من جانب كرسيه وتقدم نحوي، وأنا في حالة ذهول واستغراب، وبكل قوته وبقبضه يده والمفتاح معه لكمني في صدري، كنت شبه مستيقظ أما الآن قلت تلقى ما تستحق، أمسكته من عنقه وأدخلته في الكرسي الذي كنت أجلس فيه وأخذت المفتاح من يده، ثم وضعته في عينه وفركتها، بدأ بالصراخ عيني عيني، في بداية الأمر كان عدد الركاب قليلًا، لم يتدخل أحد، بعد ذلك تدخل بعض الركاب، والرجل ما زال يصرخ عيني عيني، اقترب مني أحد الشبان وقال لي عليك مغادرة المكان وبسرعة، إذا حضرت الشرطة الآن بهدلة كبيرة، فقدرت مساعدته لي وغادرت المكان إلى بيت أخي وابن عمتي، قالوا ما وراءك؟ حدثتهم بما حصل أنني وضعت المفتاح في عين الرجل، والأكثر دقة بطرف عينه، ليس في وسطها، ولم تقلع أما حجم الضرر فلا أعلم، الرجل كان يصرخ وتشبث بي، عبرت له عن أسفي ليتركني قبل قدوم الشرطة، وقد قالوا لي حظك الشرطة لم تحضر وإلا كانت النتيجة غير مريحة لك، قلت لهم المهم الآن أريد أن أنام، لم أنم طوال الليل، وأنا قلق لأمر سائق الحافلة فقد لاقي ما يستحق، بعد ذلك ما حدث لعين الرجل، ولكن البادئ أظلم، وإن كنت أتمني له شفاء وعافية، ولكن لست نادمًا.

محمود لمنير ممازحًا: أأُطلق عليك النار؟!

العمل الفدائي في الأردن
(صورة أرشيفية).

محمود لمنير ممازحًا: أأُطلق عليك النار؟!

يمزح منير مع محمود، وكلاهما منظمان معي في العمل الفدائي، من أجل أن يقوم محمود بتدريب منير على استخدام السلاح، يقول منير ذهبت مع محمود إلى المكان الذي يتم فيه استخدام المسدس ويريد أن يشرح لي كيف يتم فك وتركيب ذاك السلاح، وعلمني كيفية فك وتركيب المخزن، وحشوه بالرصاص وكيف تسحب الأقسام. وقال: حين أردنا العودة أخرج محمود المخزن بعد أن كان قد سحب الأقسام، وأصبحت الرصاصة في بيت النار، أشار على رأسي بالسلاح وقال لي مازحًا: هل أطلق عليك النار؟ مع أنني كنت قد حذرت محمود من عدم المزاح بالسلاح مطلقًا، عندها قمت بدفع يده، قلت له دعك من هذا المزاح، فما كان من محمود إلا أن ضغط على السلاح ظنًا منه أن السلاح خالٍ من الرصاص ونسي أنه بعد سحب الأقسام أصبحت الرصاصة في بيت النار، وخرجت الرصاصة، وارتطمت بصخرة التدريب وأحدثت صوتًا عاليًا ونحن قريبون من بعض المنازل في وضح النهار، وتأثر محمود وتملكه الخوف بأن هذه الرصاصة كانت قبل ثوان قليلة ستخترق رأسي وتقتلني. غادرنا المكان مسرعين حتى لا يحضر الناس إلى المكان، مع العلم أن محمود لم يأخذ العبرة، فقبل أيام من هذا الحدث كنا قد ذهبنا أنا وإياه للتدريب، والمسدس على جنبه، كنا نسير في شوارع القرية وبالتحديد في حارة الجرادات، فمررنا من باب مطعم القرية

الـذي يعمـل فيـه، وجعلهـم يرفعـون أيديهـم عـلى الجـدار، وذلـك عـلى سـبيل المـزاح، وضحـك لأنـه في حالـة زهـو ونشـوة وهـو يشـعر بالقـوة والعظمـة كون السـلاح عـلى خـصره. كانـت السـادية تمـارس علينـا وكان مـن قبـل الغـير أراد أن يعـبر بإيقاعهـا عـلى أبنـاء شـعبنا، وإن كانـت عـلى سـبيل المـزاح، قلـت لـه: بـماذا تشـعر وأنـت تحمـل هـذا السـلاح؟ قـال: أشـعر كأنـني أسـتطيع الدخـول إلى تـل أبيـب وتحريرهـا لوحـدي، مضيـت أنـا وهـو في طريقنـا، وبعـد أيـام قمنـا بتنفيـذ محاولـة قتـل مديـر مدرسـة، وتلـك كانـت القصـة الأكثـر جديـة، وخطـورة في حياتنـا.

أصبناه برصاصنا ورصاصه أخطأنا

مشهد من المواجهات في انتفاضة الحجارة.

أصبناه برصاصنا ورصاصه أخطأنا

في تلك الأيام قمنا بالتخطيط لتنفيذ عملية اغتيال أحد المتعاونين مع الاحتلال، وهو مدير المدرسة الابتدائية في قريتنا، وكان قد عُيِّن من قبل الاحتلال. اجتمعنا محمود ومنير وأنا، وقمنا بإعداد الخطة لكيفية التنفيذ، واستقر الرأي أن يتم ذلك في المدرسة التي يعمل بها، وهي المدرسة الابتدائية الواقعة قرب الشارع الرئيسي بين جنين ومجدو، أي على خط حيفا، وهو شارع رئيسي ذو حركة مرور نشطة جدًا من قبل قوات الاحتلال وأجهزتها الأمنية، ومن ناحية أمنية هي مجازفة وفيها مخاطرة كبيرة، وتحديدًا عند استخدام سلاح ناري، ولكن في حينه كنا لم نتجاوز العشرين عامًا بعد، وفي عمر كهذا لا تكون الحسابات الأمنية كاملة، لا بل وربما تكون متهورة، وتواعدنا في تلك الليلة، واتفقنا أن يحضر محمود السلاح ونلتقي صباحًا مع شروق الشمس وخروج العمال لعملهم كأننا ذاهبون للعمل، وفعلًا التقينا في الصباح، وفي المدرسة الثانوية قمنا بوضع اللثام (الكوفية) على وجوهنا وذهبنا للمدرسة، دخلنا المدرسة من جانب أشجار السرو وعند دخولنا التقينا بآذن المدرسة، وهو رجل كبير السن يحظى باحترام في القرية، لكنني مضطر أن أشهر مسدسي بوجهه، ذهل الرجل من هذا المشهد، ما هذا الصباح الذي لم يشاهد قبله بحياته، ثلاثة شبان ملثمين وأحدهم يشهر مسدسه بوجهه والآخر يحمل سكينًا،

وفهم أن أمرًا خطيرًا سيحدث؛ لأن المدير معروف بخيانته، وهذا الرجل ليس مقصودًا بذاته، بل الجميع يكنون له كل الاحترام.

أشرت للرجل أن يتقدم ويدخل إلى غرفة صغيرة، وهي عبارة عن مخزن للمدرسة يتم إعداد الشاي والقهوة للمدرسين، وبالفعل كان إبريق الشاي على الموقد، جلس الرجل مهمومًا، وأشرت له بعدم فعل شيء وأن يجلس ولم نتحدث إليه خوفًا أن يتعرف على أحدنا من صوته، وهذا ليس طعنًا بنزاهته، بل هو رجل نزيه، وله احترامه وتقديره في القرية، بل هو أمين ولا تقع عليه أي مسؤولية.

منير بقي مع الرجل في غرفة الشاي ومعه السكين، وذلك من أجل أن يبقي الرجل تحت التهديد.

توجهت برفقة محمود لمكتبه كي ننتظر المدير؛ لأن الوقت مبكر والطلاب حتى تلك اللحظة لم يتوافدوا للمدرسة، وبالعادة يحضر آذن المدرسة والمدير مبكرًا، محمود يجلس على كرسي المدير وكان هناك جهاز تسجيل كبير، وسألني ما رأيك بهذا المسجل وكيف تراني وأنا أجلس جلسة مدير؟ وبهذه البساطة تمازحنا وضحكنا وكأن الأمر طبيعي جدًا. هنا محمود يقترب مني ويقول لي: أعطني المسدس، أريد أن أكون من يطلق النار؛ لأننا شاهدنا العميل يقترب من المدرسة، قلت له: أنت لم تطلق النار من قبل وأنا أتقن ذلك أكثر منك وذلك بحكم تدربي عليه، وبصدق كدنا نتعارك مع بعضنا، ومع اقترابه أصررت على إطلاق النار وانتظرت على باب غرفة المدير، قرب الجدار وذلك من أجل الاختفاء بعض الشيء،

ولكـن كان هنـاك خطـورة بسـبب تواجـد بعـض الأطفـال الصغـار حـول المديـر، وكانـوا قريبـين جـدًا منـه، ولكـن وقبـل إطـلاق النـار أخـبرت محمـود ومنـير بـأني أريـد أن أطلـق النـار عـلى صـدره وليـس عـلى رأسـه، وذلـك كـي يكـون عـبرة لمـن يحملـون السـلاح ويتعاونـون مـع الاحتـلال، واتفقنـا عـلى هـذا الـرأي، والمفاجـأة أنـه عنـد مـا بـدأت بإطـلاق أول رصاصـة عليـه واخترقـت بطنـه لم يسـقط عـلى الأرض ولاذ بالهـرب، واختلـف الأمـر؛ لأننـي اعتقـدت أنـه سيسـقط فـورًا، كـوني كنـت أشـاهد ذلـك في التلفـاز فـور إصابتـه يسـقط، عندهـا اعتقـدت أن الرصـاص قديـم وأنـه تعـرض للتلـف، عندهـا صرخـت عليـه توقـف، وأطلقـت النـار عليـه مـرة أخـرى فأصابتـه بيـده، إلا أنـه فـر مـن المـوت.

في البدايـة كانـت صدمـة قويـة، ولكـن تعلقـه بالحيـاة لظنـه أنـه سـيموت جعلـه يفـر هاربًـا والمنطقـة كـما ذكـرت خطـرة جـدًا علينـا، وفي أي لحظـة سـتمر قـوات الاحتـلال أو أي مـن أجهزتهـا الأمنيـة. وعندما وصل إلى الجهـة الأخرى بالقـرب مـن الشـارع الرئيسي وبجانـب أشـجار السرو، أخرج مسدسـه الجديد مـن عيـار 14 ملـم وأطلـق عـليَّ رصاصتـين أخطـأني والحمد لله.

عندهـا أطلقـت عليـه الرصاصـة الثالثـة والتـي أصابتـه في بطنـه وطلبـت مـن الآخريـن مغـادرة المـكان وبسرعـة إلى الجهـة القريبـة للتسـتر بـين شـجر الزيتـون، والابتعـاد عـن منـازل القريـة والالتفـاف مـن تلـك الجهـة إلى الجهـة الجنوبيـة خلـف حـارة الجـرادات، ومن ثـم التوجه نحو قريـة اليامـون المجاورة، في البدايـة اعتقـدت أن الرصـاص كان غـير فعـال ولكـن تبـين أخـيرًا أنهـا اخترقـت جسـده وبـدوره أوقـف سـيارة مرسـيدس تنقـل الـركاب المتوجهـين

للعمـل في حيفـا بعـد أن أشـهر عليهـم سـلاحه وأخرجهـم منهـا، باسـتثناء السـائق الـذي نقلـه لمدينـة جنين لمقـر الحاكـم العسـكري، وهـم بدورهـم نقلـوه لمشـفى العفولـة لعلاجـه، وهنـاك بقـي لمـدة أسـبوعين ونجـا مـن المـوت إلى حين بـدأت الانتفاضـة الأولى، وتـم قتلـه عـلى أيـدي نشـطاء الفهـد الأسـود.

وفي ذلـك الوقـت محمـود تـولى مهمـة إخفـاء السـلاح، وبقـي جالسًـا بـين أشـجار الزيتـون في القريـة، وتوجهـت أنـا ومنـير إلى قريـة اليامـون، ومـن هنـاك ركبنـا سـيارة لنقـل الـركاب وتوجهنـا إلى مدينـة جنـين؛ لأننـا قررنـا أن نذهـب إلى مركـز شرطـة العفولـة، ونثبـت أننـا في ذلـك الوقـت كنـا متواجديـن في مركـز الشرطـة بحجـة أنـه قبـل أيـام كان منـير قـد تعـرض للـضرب عـلى أيـدي مسـتوطنين قريبـين مـن قريتنـا وتـم مصـادرة دراجتـه الهوائيـة، ذهبنـا نطلـب الدراجـة مـن هنـاك وهكـذا نكـون قـد أثبتـا أننـا في تلـك السـاعات لم نكـن في القريـة بـل عنـد الشرطـة، ثـم قمنـا بالسـفر نحـو حيفـا، وبعـد صـلاة العـصر ومـع عـودة العـمال ركبنـا في أحـد باصـات العـمال، وعدنـا إلى القريـة قبـل ذلـك. وعندمـا وصلنـا مدينـة جنـين ركبنـا سـيارة الأجـرة بطريقنـا إلى العفولـة وإذا بالنـاس يتحدثـون أنـه قـد تـم اغتيـال مديـر مدرسـة السـيلة الحارثيـة، وباسـتغراب علقنـا أنـا ومنـير: أف مديـر مدرسـتنا، وأننـا خرجنـا مـن القريـة ولم نسـمع بذلـك، نظرنـا لبعضنـا بتعجـب واسـتغراب مما نسـمع. بعـد وصـول العميـل إلى مركـز الحكـم العسـكري، حـضرت قـوات كبيرة مـن قوات الاحتـلال لمكان الحـدث وفرضـت منـع التجـوال عـلى القريـة وبـدأوا بالبحـث والتفتيـش عـن القاتلـين، وعنـد عودتنـا للقريـة وجدنـا أن قـوات الاحتـلال تغلـق القريـة وعـلى مدخـل القريـة أوقفتنـا قـوات الاحتـلال واسـتجوبتنا، أيـن

كنتم؟ فأخبرناهم أننا ذهبنا في الصباح لمركز الشرطة، ثم ذهبنا عند رجل من عسفيا قضاء حيفا للحصول على دين كان لنا عنده، وأننا خرجنا باكرًا، فسألونا في أي ساعة؟ قلنا لهم قبل السادسة والنصف، أي قبل تنفيذ العملية، ثم سألونا عندما خرجتم من القرية هل كان هناك شيء، أي هل حصل شيء؟ فأجبنا بالنفي.

والحقيقة أنهم لو تحققوا من أحذيتنا التي كنا نلبسها، ولو أحضروا كلاب أثر لقبض علينا فورًا.

قالوا الآن يوجد منع تجوال في القرية وإلى بيوتكم فورًا، وصرخوا علينا اركض، سرنا وحدنا ولا يوجد أحد في الشوارع ونظرت إلى منير وسألته على سبيل السخرية ماذا يوجد في البلد؟ فرد عليَّ أنه لا يعرف، وعندما وصلنا إلى وسط القرية سألنا أحد الأشخاص كان يقف على سطح منزله فرفض الحديث عما يحدث في القرية وأشار لنا بيده ولم يتحدث بشيء، وعندما دخلت إلى المنزل واصل منير سيره نحو بيته، فوجدت والدي يجلس في المطبخ وإخوتي الصغار بجانبه، فسألته ماذا يوجد في البلد؟ فقال: لقد قام بعض الفدائيين بإطلاق النار على المدير ولربما قد قتل.

بتكسير منير ينجو جارنا من الموت

نقل أحد المصابين في مواجهات
انتفاضة الحجارة.

بتكسير منير ينجو جارنا من الموت

هذا الجار الذي أشار لنا بيده، كانت له قصة مع منير بعد سنوات في فترة الانتفاضة الأولى والذي بسبب منير كتب الله لهذا الجار حياة من جديد ولمنير التكسير من قبل قوات الاحتلال. حصل ذلك في أحد أيام الانتفاضة الساخنة في القرية، واستمر ذاك النهار حتى أسدل الليل أستاره، وكانت المواجهات عنيفة ومن المناطق التي شهدت هذه المواجهات كانت قرب منزلنا، وبما أن هذا الشاب هو جار لنا وكان عائدًا من بيت جدته إلى بيتهم في الوقت الذي وصل به هذا الشاب إلى ضرب المتظاهرين كانت قوات الاحتلال بالقرب من بيتهم عندما قامت قوات الاحتلال بإطلاق النار باتجاهنا، أصيب العديد من الشباب، وكان نصيب هذا الشاب أن أصيب برصاصة اخترقت صدره واستقرت في رئته. حدث هذا معه وهو إلى جانبي، في البداية اعتقدنا أن إصابته كانت بالرصاص المطاطي «قطعة معدن مغطاة بالمطاط» لأنه لا يوجد تمزق في ملابسه من الخارج قال لي أصبت بصدري، وكان المكان معتما ولم نر تمزقًا، حاولت طمأنته وقلت: لا تخف، ربما هي رصاصة مطاط، وبدأت قوات الاحتلال تلاحقنا واقتربوا منا كثيرًا. أمسكت بجاري وركضت معه باتجاه حارة الجرادات وإلى جهة منزل نبيل؛ لأنها تقع في وسط هذه الحارة. جارنا بدأ يشعر بضيق نفس حملته وركضت به إلى أن وصلت منير. قلت لمنير أدخله عندك، إلى

بيتك هو مصاب برصاصة مطاط. دخل مع منير إلى بيته وعندما خلع ملابسه وجد أن رصاصة اخترقت جسده، أنا وباقي المتظاهرين ابتعدنا عن المكان إلى الحارات الأخرى ولكن خلفنا كانت حالة الإنقاذ لجارنا والمصيبة العذاب لمنير يحدثني منير أنه بعد أن دخلوا المنزل لاحقتهم قوات الاحتلال إلى الداخل، وأطلقت رصاصتين إلى داخل الغرفة التي دخلها جارنا محمد، يقول لي منير: لحسن حظ محمد دخلت قوات الاحتلال وفحصوه ووجدوا أنه مصاب وأخبرتهم أن الشباب أدخلوه عندي الآن فطلبوا مني حمله على ظهري، جسم محمد أكبر من جسم منير، قال منير بصعوبة حملته من منزلنا إلى وسط الطريق ولم أستطع مواصلة السير، وحالته الصحية ساءت جدًا عندها حملوه على حمالة الجرحى وأوصلوه إلى مدخل القرية النصيب أنه تواجدت سيارة إسعاف عسكرية، أجروا له إسعافات أولية ونقلوه فورًا لمشفى العفولة القريب. هناك أجريت له عملية جراحية في صدره وتعافى وعاد لمنزله بعد عدة أيام؛ لأنهم بعد التحقيق تبين لهم أنه كان عائدًا من بيت جدته، وتزامن خروجه من المكان الذي كانت فيه المواجهات وأصيب على أيديهم في اليوم التالي رغم أننا مطلوبون أمنيًا إلا أننا تسللنا سرًا ودخلنا المشفى الذي عولج فيه وقمنا بزيارته عدنا للقرية أما منير فقد اعتقلته قوات الاحتلال. ونصيب منير أن مدير المدرسة العميل والمسمى رائد كان يرافق قوات الاحتلال فأوصاهم عليه أنه معادٍ هو وعائلته له ولم يكن في المعتقل غيره في تلك الليلة، وفي الباص تواجد ثمانية عشر جنديًا وهناك كانت الفظاعة، قال لي: بدأوا بضربي بكل أنحاء جسدي، ومن مدخل السيلة الحارثية إلى المركز العسكري في جنين والباص

يسير بهدوء، ولم يشفع لي كل صراخي، ثم بدأت مرحلة تكسير عظمي وبدأوا بكف يدي وأصابعي، ثم انتقلوا إلى ربط يدي ووضعوهما بشكل معاكس وبدأوا بدقها بأعقاب بنادقهم وأحذيتهم حتى كسرت، وحتى في هذه الأيام كل من يشاهد يد منير يرى أثر الكسر؛ لأنها لم تعد لحالتها الطبيعية لأن مكان المرفق لم يعد يجبر كما كان، في تلك الليلة الطويلة جدًا على منير. وبعد أن وصلوا إلى مركزهم العسكري استدعوا سيارة إسعاف لمشفى جنين الحكومي وسلموه لهم وهو على هذه الحالة. عندما عدناه في المستشفى كانت آثار الضرب والتعذيب في كل أنحاء جسده ورأسه، وآثار الضرب والكدمات والهراوات وأحذية الجنود كلها على جسده، ولكنه كما عهدناه دائمًا رجل صبور وذو وفاء. ابتسم لنا وحمد الله على هذه الحال وطلب أن يطمئن على محمد، طمأنته وقلت له هكذا فعلوا بك بعد أن أوصاهم عليك ذاك العميل، هم لا يعرفون أنك كنت مشاركًا في محاولة قتله فكيف لو عرفوا؟

ثم اعتقل منير معي وحكم على قضية محاولة القتل لعشر سنوات، وأُفرج عنه بعد أربع سنوات بعد اتفاق أوسلو ودخول السلطة الفلسطينية.

جريمة الأحد، استشهاد نعمان وسامر

مشهد لأطفال انتفاضة الحجارة.

جريمة الأحد، استشهاد نعمان وسامر

الأحد الموافق 19/ 03/ 1989م، هو يوم من أيام الانتفاضة الأولى، مثله مثل حال باقي الأيام، الناس كلٌ ذاهب لأشغاله وأعماله، ونشطاء الانتفاضة أيضًا، كل واحد يقوم بدوره إما أنه مشغول بنشاط ميداني أو أنه يحضر نفسه لذلك، ونحن في حالة ترقب واستعداد بالمراقبة والحيطة من اقتحامات قوات الاحتلال للقرية أو دخول قوات خاصة من المستعربين والتي تقوم بتصفية وقتل بعض نشطاء الانتفاضة أو اعتقالهم، وإحدى هذه الوحدات هم من قاموا باعتقالي بعد أن تنكروا بلباس مدني وبسيارة تحمل لوحة تسجيل منطقة جنين وبالتعاون مع مجموعة من العملاء التي كانت تراقب تحركاتي وتقوم بالإبلاغ عنها، وهي مجموعة مؤلفة من خمسة عملاء كبيرهم الذي علمهم السحر تم معاقبته حتى الموت على أيدي نشطاء من الفهد الأسود من قريتي بعد أن اعترف لهم أنه قام بالإبلاغ عن مكان تواجدي.

في يوم الأحد، دخلت قوة من جنود الاحتلال بسيارات عسكرية مدججين بأسلحتهم الرشاشة، دخلوا القرية من الشمال الشرقي مرورًا بجانب مدرسة البنات، وتمركزوا في حارة الجرادات على أنقاض منزل الشيخ هاني جرادات الذي كان قد هدم، ومجموعة أخرى من منازل القرية

على أيدي قوات الاحتلال قبل فترة زمنية قصيرة، والسبب وراء ذلك أنهم نشطاء وقادة في مقاومة الاحتلال. في ذاك اليوم لم تكن هناك مواجهات ساخنة مع هؤلاء المجرمين، ودخولهم على هذه الحالة تدل على أنهم يضمرون شرًا مخططًا له كحالهم الدائم، ولكن نحن في كل حال لا نتركهم يدخلون القرية أو يمرون بداخلها أو على أطرافها إلا بمواجهتهم وضربهم بالزجاجات الحارقة والفارغة والحجارة، وهذا ما حصل. بدأنا بالتجمع وحشد أنفسنا، يومها التقيت بالشهيد نعمان طه جرادات وأنا بطريقي للمواجهات وكان اللقاء قرب مسجد حارة الجرادات، نعمان شاب في أول عمره وقتها كان لا يتجاوز السابعة عشرة، وهو من الشبان النشطاء والشجعان في القرية ويمتاز بأدبه وخلقه، سألته إلى أين يا نعمان؟ ألا تريد المشاركة اليوم بالمظاهرات ومواجهة الاحتلال كالعادة؟ أجاب بأنه سينضم لنا، ولكنه أراد تحذير ابن عمته وزوج أخته ليأخذ حذره من دخول قوات الاحتلال للقرية؛ لأنه كان أيضًا من قادة الشبيبة الفتحاوية، هي دقائق وإذا نعمان يقف إلى جانبي قرب جدار محطة توليد الكهرباء في القرية ومن خلفنا معصرة زيتون هي الأقدم في القرية ومطحنة القمح، قوات الاحتلال تقابلنا كما ذكرت، من فوق حطام البيت المهدم، والقناصة يجلسون بحالة تأهب وحقد من قدم إلى القرية فقط للقتل وسفك دمائنا نحن الفلسطينيين. هي لحظات وإذا برصاصة من يد حاقد لئيم تخترق رأس نعمان، لا بل إنها شطرته نصفين وانتشرت أجزاء من دماغه وعظمه ودمائه الطاهرة علينا وعلى جدران المعصرة، نعمان يقف على جانبي الأيسر، وبقربه أحد الشباب يصرخ، أمسك نعمان واحتضنه، فعلًا أمسكت واحتضنت نعمان

بين يدي، وكان من أفظع ما شاهدت، حملته وشاب آخر، ثم جمعت شطر رأسه المعلق فقط بفروة رأسه في كوفية فلسطين التي كنت أرتديها، سندت رأسه بها وهي تغرق بدمائه الطاهرة، نقل لأحد المستشفيات حتى فاضت روحه الطاهرة إلى بارئها، ولم أشاهد نعمان بعدها. لم يكتف الاحتلال بهذه الجريمة في هذا اليوم، بل واصل إجرامه بقتل الطفل سامر العاروري وهو جار لنا، فقط لأنه كان متواجدًا في تلك اللحظات، واقترب لينظر إلى هؤلاء المجرمين وماذا يفعلون في الموقع الذي يتمركزون فيه.

على إثر هاتين الجريمتين قدم إلى القرية قائد قوات الاحتلال في الضفة يومها وكان يدعى متسفاع، ادعى يومها أنه سيجري تحقيقًا بما حدث، واقترب من والد سامر يريد أن يعزيه بيده الملطخة بدماء هؤلاء الشهداء إلا أن جارنا والد الشهيد سامر رفض هذه المصافحة والتعزية، رحم الله سامر ونعمان وكل الشهداء.

أنت نائم وأنا معلق على شجرة زيتون

قطف الزيتون موسم سنوي.

أنت نائم وأنا معلق على شجرة زيتون

أسامة الشلبي في ذاك الوقت كان شابًا صغيرًا، نشأ في طاعة الله وتعلق قلبه بالمساجد، وكان مرافقًا دائمًا ويكاد لا يفارق الشهيد نعمان طحاينة (أبو الحسين)، وعندما كبر أصبح عديله. في تلك الليلة ذهبت برفقة أسامة لننام على أطراف القرية وبالتحديد الجهة الغربية بين السيلة وقرية تعنك، وهناك حضر بعض الأصدقاء وأخص منهم أبو دلال، وكنا قريبين من منزله، أحضر لنا أبو دلال بعض الفراش وأغطية للنوم، سهرنا تحت شجرة الزيتون، وبالقرب من المنطقة التي تواجدنا بها كان هناك مغارة (كهف كبيرة)، والظاهر أن الذي كان يتتبع آثارنا أعطى إخبارية للاحتلال أنني ربما أكون متواجدًا فيها للنوم، وفي تلك الليلة وبعد سهر طويل قال أبو دلال. ناموا الوضع آمن ولا يوجد شيء، إلا أنني بقيت مستيقظًا، وبدأت أشعر أنه يوجد حركة غير طبيعية وذلك بسبب نباح بعض الكلاب الشديد في المنطقة، جلست أراقب المنطقة، نحن تحت أشجار الزيتون وأمامنا بعض الصخور والليل مظلم، فوجئت بأجسام سوداء أمامي، ويفصلها عني عدة أمتار، عرفت أنهم قوات الاحتلال، ولكنهم كما توقعت كانوا متجهين نحو المغارة، لم أتردد بالهرب حتى لو شاهدوني، توقعت أنهم سيطلقون النار عليَّ، أيقظت أبو دلال وهربت بين أشجار الزيتون واللوز، لم أبتعد كثيرًا، بعد مائة وخمسين إلى مئتي متر تقريبًا، كان هناك بعض المنازل

المتفرقة طرقت باب أحدها وكان منزلًا صغيرًا، فتحوا لي الباب ودخلت.

استيقظ أبو دلال، وبدوره أيقظ أسامة وقال له انظر قوات الاحتلال، لكن ظهورهم مدعاة للهرب، وهذا ما فعله أسامة، ودخل بين أشجار الزيتون وبدأ يركض إلى الجهة الأخرى نحو قرية اليامون، أما أبو دلال فاستمر بإيقاظ من تبقى من الشباب كونهم لم يكونوا مطلوبين، وبدورهم بدأوا يركضون باتجاه قرية اليامون، يقول لي أسامة: أنا أركض والإخوة الآخرون يركضون خلفي والسلاسل الحجرية تتهاوى خلفي، وكان كل اعتقادي أن قوات الاحتلال هم من يلاحقونني، وبدأوا يقتربون مني لا أعرف أين أذهب، فما كان مني إلا أن صعدت على شجرة زيتون وتعلقت بأغصانها حتى شروق الشمس، وعندما مروا من قربي اعتقدت أنهم فعلًا يلاحقونني، وبنفس الاتجاه وعند شروق الشمس عاد للمكان الذي كنا فيه، معتقدًا أن الآخرين اعتقلوا والحقيقة أنه وجد أبو دلال قد أعد إبريق شاي، وجلسنا معًا، كلاهما اعتقد أن الآخرين اعتقلوا. يخبرني أبو دلال: بعد أن تركتم المكان جميعكم، لحقت بك أبحث عنك. خشيت أن تكون قد ضللت الطريق وسمعت أحدًا يقترب مني، بدأت أنادي عليك، واقترب من الطرف الآخر، وإذا بهم يقبضون عليَّ معتقدين أنني رائد، وبعد أن تحققوا من هويتي، اقتادوني إلى المغارة، وبدأوا باستجوابي وسؤالي عنك، فقلت لهم: إن هذا بيتي وأنا أبحث عن بقرات لي خرجن من مكانهن، فعلًا تركوني، ولكني اعتقدت أنك قد وقعت بين أيديهم؛ لأنهم كانوا منتشرين حول المنطقة، ولكن عندما أخبرته وأسامة ما حصل معي وكيف أنني دخلت إلى ذاك المنزل وأن أصحاب المنزل رحبوا بي رغم

صغر منزلهم، الرجل أجلسني على فراشه وأهل بيته دخلوا للجلوس في المطبخ، والصغار نائمون، وبعدها بلحظات صليت الفجر، ثم أخذتني سنة من النوم واستيقظت بعد شروق الشمس. شكرت صاحب المنزل لحسن استقباله وخرجت متوجهًا إلى ذاك المكان معتقدًا أنهم قد اعتقلوا الآخرين، وإذا أبو دلال وأسامة يشربون الشاي وفوجئوا بدورهم أنني لم أعتقل، وبعد أن أخبرتهم بما حصل قال لي أسامة: أنت نائم وأنا معلق على شجرة زيتون طيلة الليل، لن أعود للنوم معك في أي مكان، أما باقي الإخوة فقد وصلوا إلى مسجد قرية اليامون مع أذان الفجر وبقوا هناك حتى بزوغ الفجر، ثم عادوا إلى بيوتهم، ولم يعودوا لمرافقتي لا لسهر ولا لنوم بعدها.

ليلة باردة، ما بين الجدية والهزل

مدخل بلدة سيلة الحارثية.

ليلة باردة، ما بين الجدية والهزل

تلك ليلة من ليالي ملاحقة الاحتلال، كانت ليلة باردة، اجتمعت فيها وبعض الإخوة الملاحقين من قبل قوات الاحتلال، وكان من بينهما الشهيدان نعمان وصالح طحاينة. كنا في تلك الليلة الباردة بإحدى القرى المجاورة نبحث عن مكان نأوي إليه حتى ننام بضع ساعات دون خوف من مداهمة قوات الاحتلال لنا، ولنستريح من تعب ذاك النهار. أحد الإخوة المرافقين لنا عرض علينا الدخول لأحد البيوت لوجود صلة قرابة له بأهل البيت، ولكن بدون تنسيق مع أهل البيت أو إخبارهم، ومع ذلك رحب أهل البيت بنا وأكرمونا بكرم الضيافة من عشاء وتقديم الشاي والقهوة، كان اعتقاد أهل البيت أن هذه مجرد زيارة لنشطاء الانتفاضة، ولم يعلموا بموضوع النوم عندهم إلا عندما أخبرهم قريبهم بالأمر، ولذا لم يبدِ أهل البيت ارتياحًا، وهم محقون في ذلك، فالعدد كبير، وكل واحد منا وراءه مصيبة، والجميع مطلوبون، والبيت لا يحتمل، والاحتلال ينكل ويعتقل من يؤوي أي مطلوب، فهمنا وشعرنا بما يدور حولنا، بدأ القلق يظهر على أهل البيت، شكرناهم وعبرنا لهم عن تفهمنا لطلبهم وأنهم محقون بذلك ولا حرج عليهم، خرجنا إلى كروم شجر الزيتون من حولنا ومعنا بطانية واحدة أو اثنان، فالليل بارد والمنطقة التي دخلناها منطقة

خطرة؛ لأن قوات الاحتلال تداهم البلد من تلك الطرق، وأحيانًا ينتشرون بين هذه الأشجار، اجتمع البرد مع الخوف وفوق كل ذلك العطش رغم قربنا من البيوت؛ لأننا لا نستطيع الدخول إليها أو الاقتراب منها خوفًا من اكتشاف أمرنا، وتجنبًا لإزعاج الأهالي لاسيما أن الوقت أصبح متأخرًا بعد أن اقترب من منتصف الليل. والآن نحن في وسط الطريق وحولنا أشجار الزيتون، وأحدنا ملتحف بإحدى البطانيات والباقي يرتجف من البرد ولا نعرف إلى أين نأوي، لا المكان الذي نتواجد فيه آمن ولا حتى الخروج منه كذلك، وشر البلية ما يضحك، وهذا ما حصل، لا نملك إلا الضحك على أنفسنا وخاصة أن أحدنا يلتحف بالبطانية، وأصبح منظره بين الجدية والهزل وبدأنا بالتعليق حول ما الذي سيحصل لو تقدم هذا الشاب نحو صاحب هذا المنزل وهو على هذه الحالة وطلب منه ماء للشرب، ماذا سيكون حاله أمام هذا المشهد؟ هل سيهرب من منزله أم أنه سيصاب بالرعب؟ يقول أحد الشباب: هل تستطيع أن تستأذن صاحب البيت وأنت على هذه الحالة أن تحلب البقرة وتشرب حليبها؟، قلت له: لا بل سيسامحك بالبقرة كلها وأنت على هذه الحالة.

مرت فترة زمنية ونحن على هذه الحالة، ثم اهتدينا إلى الدخول لبيت قيد الإنشاء ولم يكتمل بعد، لا أبواب أو شبابيك فقط لا تجد منه إلا الجدران والسقف، وأدركنا بأنه ليس أمامنا خيار، قلنا على الأقل نستتر به من شدة الرياح والبرد، وكان الرأي أنه ليس أمامنا سوى أن نجتمع تحت الدرج ونحاول النوم على الرمل والأرض، وبقينا على هذا الحال طيلة الليلة.

يوم الاعتقال

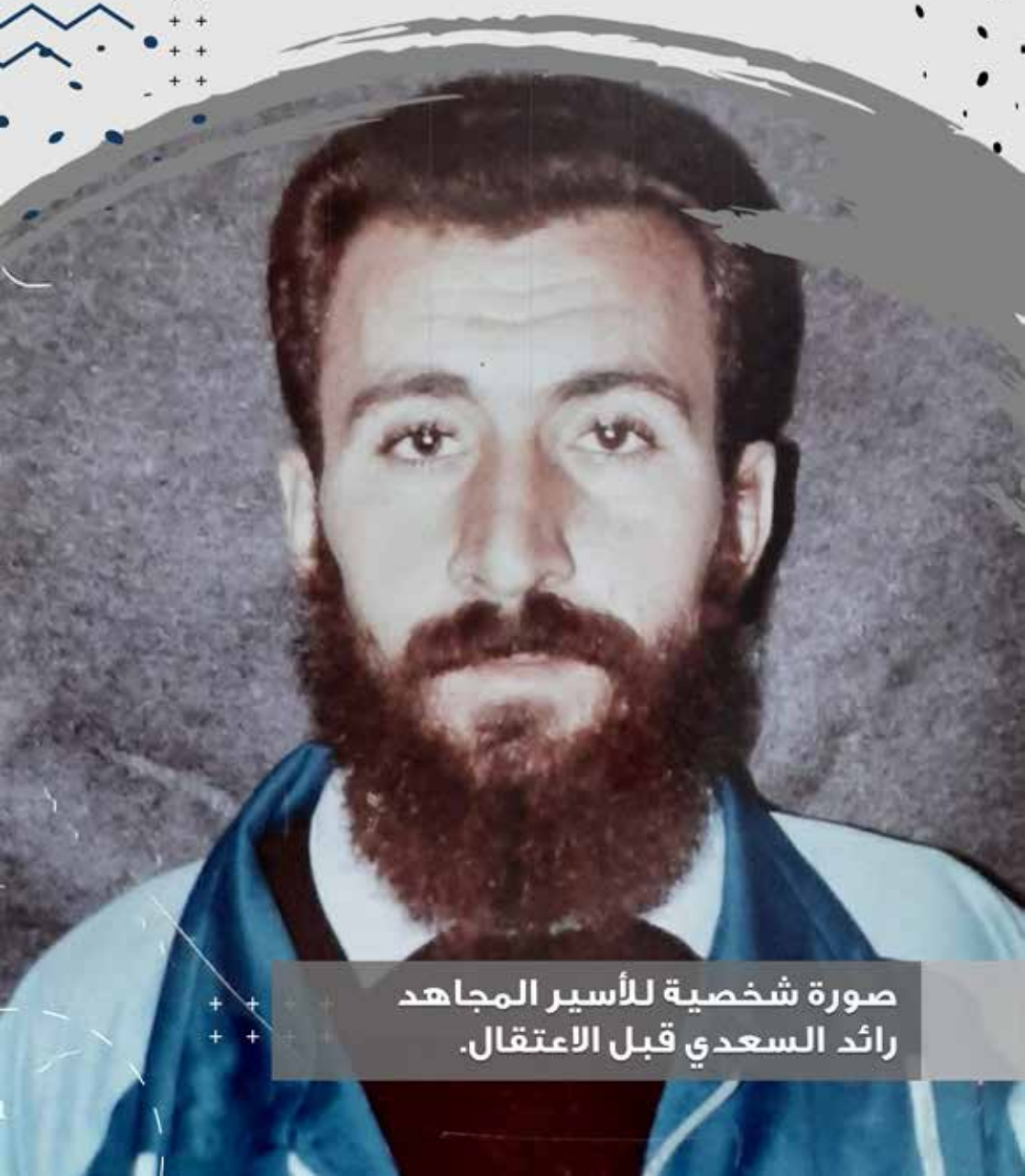

صورة شخصية للأسير المجاهد
رائد السعدي قبل الاعتقال.

يوم الاعتقال

قبل أن تشتد حملة المداهمات لمنزل والدي، دخلت في إحدى الليالي لزيارة الأهل ولأستحم وأرتاح قليلًا، صعد والدي إلى سطح المنزل ليراقب المنطقة خوفًا من مداهمة الاحتلال المفاجئة، وطلب مني النوم فوق سطح المنزل كي أكون قريبًا منه لإيقاظي سريعًا إن حدث طارئ، وفي منتصف الليل أيقظني، وقال: أنا تعبت وأريد النوم. ذهب والدي ليستريح وجلست أراقب المكان، حضرت والدتي وقالت: أود الجلوس بقربك، كي لا تسهو عيناك أو تنام؛ لأن ساعات ما بعد منتصف الليل أكثر خطورة كونها الساعات المفضلة لقوات الاحتلال للمداهمة. أديت صلاة الفجر وخرجت بعد أن اشتدت ملاحقاتهم ومداهماتهم المتتالية لمنزل والدي. لم يعد باستطاعتي العودة والدخول إلى المنزل إلا لفترات متباعدة متخفيًا وبشكل سري، حتى جاء ذاك اليوم الذي قدمت فيه للمنزل ودخلت على والدتي وهي مشعلة فرنها الغازي وتقوم بإعداد الخبز كعادتها كل يوم. بعد أن كنت قد أمضيت تلك الليلة في بيت أحد الأصدقاء، ولم أكن أذهب للنوم في تلك الفترة إلا بعد شروق الشمس من الساعة الثامنة صباحًا وحتى الحادية عشرة ظهرًا لصلاة الظهر؛ لأني كنت أمضي طوال الليل وأنا مستيقظ، حتى لا يتم مداهمة المنزل والمكان الذي أتواجد فيه؛ لأنه كما ذكرت توالت المداهمات شبه الليلية ولأي مكان تصلهم معلومة أنني أتواجد فيه أو حتى أنني دخلت

لذلك المكان ثم خرجت. في تلك الليلة خرجت من بيت صديقي باكرًا وحتى لا يتم رؤيتي وأنا أخرج من هذا البيت ذهبت لمسجد القرية وأديت صلاة الضحى، وفي الساعة الثامنة تقريبًا، دخلت كما ذكرت للمنزل والوالدة تعد خبزها، سلمت عليها ورحبت كعادتها بين الشوق والحنين والخوف عليَّ، لكن يومها قالت ها أنا أعد الخبز الساخن وأخوك ذهب ليحضر صحن حمص من المطعم حتى نفطر معًا، أخبرت والدتي أنني سوف أذهب لدكان ابن عمي ريثما يعود أخي، وهذا الدكان قريب من منزلنا، وذلك خوفًا من إخبارية حول دخولي للمنزل، وحتى يعود أخي وتجهز وجبة الإفطار أكون قد عدت، ودعت والدتي على أمل العودة لتناول وجبة الإفطار معًا إلا أنني لم أعد منذ ذلك اليوم، وفارقت الحياة وهي تنتظر تلك العودة، وكانت دائمًا ما تذكرني بذاك اليوم، وهي تدعو الله أن يأتي وأفتح باب المنزل وأدخل إليها كما دخلت في ذاك اليوم، ووصل بها الأمر أنها كانت أحيانًا تستيقظ ليلًا وتبحث عني في أرجاء المنزل وتقول لي لا أعرف يأتيني هاجس أحيانًا أنك دخلت المنزل، فأنزل إلى الطابق الأرضي وأنادي باسمك وأبحث عنك في أرجاء البيت، ثم أعود لنومي أو أنتظر حلول وقت الفجر، أصلي وأدعو لك بالفرج القريب من الله _سبحانه وتعالى_، وبعد ذلك أحاول أن أنشغل بعض الوقت في أعمال البيت وحاجات إخوانك.

بالعودة لخروجي من المنزل في ذاك اليوم ذهبت لدكان ابن عمي، وفي طريقي إليه التقيت بأخي عائدًا للمنزل، قال لا تتأخر نحن ننتظرك، دخلت إلى الدكان، جلست أشرب كوب عصير، وبدأت بمداعبة ابن صاحب الدكان الصغير الذي يبلغ ثلاث سنوات وقتها، ثم دخل رجل

صديق لابن عمي، أردت الخروج إلا أن ابن عمي قال القهوة جاهزة، لحظات وإذ بامرأة عمي تدخل ومعها القهوة فعلًا، وفي نفس الوقت تقريبًا وإذا بوحدة خاصة من قوات الاحتلال المستعربين تقتحم الدكان مشهرين مسدساتهم عليَّ وعلى من في الدكان، لم أتمكن حتى من إخراج السكين التي كانت بحوزتي؛ لأن قائد الوحدة واثنين معه وضعوا مسدساتهم في رأسي، قيدوني وانهالوا عليَّ بالضرب والتنكيل، ثم نقلوني مع باقي الوحدة إلى سيارة تحمل لوحة ترخيص منطقة جنين، وكان ذلك بعد أن تأكدوا من هويتي، وخرجوا مسرعين من القرية ونقلوني إلى نقطة تجميع للسيارات العسكرية التي كانت تنتظرهم، هناك نقلوني لسيارة عسكرية، ثم إلى مقر الحاكم العسكري وفورًا أدخلوني إلى قسم تحقيق المخابرات العامة، ومن لحظتها بدأ التحقيق والتعذيب الدموي بسبب المعلومات التي كانت عندهم من أسرى أُعتقلوا قبلي، لم يتركوا وسيلة بالتفنن بالتعذيب والشتائم على مدار ثلاثة شهور متواصلة، لم أخرج من ذاك العذاب بأقل من مشاكل في العمود الفقري والجهاز الهضمي، إلى هذا اليوم أعاني منها ولا أريد التوسع بأساليب التعذيب؛ لأنها في تلك الفترة مشهورة ومعروفة للجميع، ولكن أذكر جملة لواحد منهم وهم يعذبوني أنهم لا يريدون مني معلومات فقط لاسيما أنهم قالوا لي: إذا كنت جهاد إسلامي فنحن الجهاد اليهودي، فقط نريد أن نعذبك، وهذا يذكرني بمواقف أسرى تعرضوا إلى أصناف متعددة، وهم ممن يشهد لهم بالتجربة حيث قالوا لي إن حجم التعذيب الذي عذبوك إياه لم يكن مسبوقًا؛ لدرجة أننا لم نتمالك أنفسنا وكنا نبكي عليك وأنت تحت التعذيب.

الشهيد الشقاقي يقسم أن يُرى دمه على صدره، وصدق

الشهيد الدكتور فتحي الشقاقي
مضرجًا بدمه في مالطا.

الشهيد الشقاقي يقسم أن يُرى دمه على صدره، وصدق

في نهاية 1989 وبداية 1990 أي بعد ثلاثة أشهر من التحقيق والتعذيب المستمر تم نقلي من زنازين التحقيق إلى أقسام السجن المركزي في مدينة جنين، وهناك عدت واجتمعت مع رفاقي وأصدقائي ممن شاركوني المقاومة والملاحقة من قوات الاحتلال، وبعد أيام من اجتماعي بهم تبين أن الحكم سيكون سنين طوالًا، وأخبرني أحد الأصدقاء أنه قد وصلت رسالة تنظيمية من خارج الأرض المحتلة، يؤكدون فيها أنه ربما تتم عملية تبادل أسرى مع الكيان الصهيوني، وأنني بإذن الله لن أبقى في السجن لأكثر من ستة أشهر، قلنا خير إن شاء الله، مع أنني اعتبر أن ستة شهور فترة طويلة، كونها ستغيبني عن الاستمرار في الانتفاضة وفعاليات المقاومة ضد الاحتلال، ولم يكن أي اعتبار آخر للفترة الزمنية التي سأمضيها في الأسر، مضت ستة أشهر ثم ست سنوات، وستة أخرى وغيرها، وهكذا تراكمت حتى وصلنا إلى 32 عامًا، لحين كتابة هذا الكتاب، والله أعلم إلام ستستمر هذه الشهور الستة. بقيت مع زملائي في ذاك السجن حتى تاريخ 06/ 10/ 1990م إلى حين محاكمتي، وإصدار الحكم عليَّ، وكان الحكم بالمؤبد مرتين في محكمة الاحتلال العسكرية في مدينة جنين، ثم تم نقلي بسيارة السجن الخاصة يوم الجمعة، رغم أنه لا يوجد حركة تنقل بين السجون في مثل هذا اليوم إلا لخصوصية حكمي العالي وضرورة أن

أكون في سجن أكثر تحصينًا، وتم ذلك بنقلي لسجن جنيد المركزي المقام في ضواحي مدينة نابلس المحتلة، وقبل نقلي ولفترة زمنية كنا نتابع بكل اهتمام أحداث الانتفاضة اليومية خارج السجن من خلال أي وسيلة مسموعة أو مرئية أو مقروءة، ومن خلال زيارات الأهل كنا نعرف هذه الأخبار، ولأن حركتي التي أنتمي لها في تلك الفترة، وأقولها بكل صدق وحق ورغم محدودية إمكانياتها المادية، بل شبه المعدومة، وأعداد منتسبيها المتواضع في تلك الفترة، إلا أنه شهد لهم الجميع أن نشاطهم يفوق كل إمكانياتهم وأعدادهم، ولخصوصية عناصرها فقد كان شعارهم (إيمان، وعي، ثورة)، ودمجوا ما بين البعد الديني الإيماني والبعد الوطني بما يميزهم بهذه الصفات وبحق، وهذا لا يعني ولا بأي شكل من الأشكال الإنقاص مما قدمته باقي الحركات والفصائل الفلسطينية، بل الأداء الأكثر تميزًا وحضورًا كان الأداء الشعبي والجماهيري، وبعيدًا عن كل المسميات السياسية أو الفصائلية، بل إن كل الجهات والفصائل السياسية والحزبية دون الحاضنة الشعبية والجماهيرية ما كان باستطاعتها أن تكون كما كانت.

في تلك الفترة تحدثت وبعض زملائي الذين كنا في الخارج أن الأوضاع في خارج السجون غير مشجعة بالنسبة للحركة التي ننتمي إليها، وهذا شيء طبيعي في حينه؛ لأن غالبية أعضائها النشيطين أصبحوا في السجون وأقبية التعذيب والتحقيق، ومع هذا أحد الزملاء وهو من قادة الحركة ومؤسسيها، كان هو الآخر غير راض حتى عن قيادة الحركة في الخارج، وهو الذي ساهم في بناء الحركة مع مؤسسها الدكتور فتحي الشقاقي، بل هو من تأثر بالفكر الحركي للشقاقي أيام دراسته الجامعية،

وكان ممن التقوا بالشقاقي وتتلمذوا على أفكاره وتطلعاته الحركية الجهادية، وهو من كان له اليد الطويلة والمؤثرة بتحريك الانتفاضة والتشجيع عليها، وقد لاقى ما لاقاه من تعذيب وتكسير واعتقال في سجون الاحتلال، وكذلك هدم لمنزل والده. كتب هذا الشيخ في حينه رسالة، كنا شاهدين عليها بل مشاركين له، ولكنه هو من صاغها وباسمه لمعرفته الشخصية بالشقاقي، وهو من محبيه جدًا والذين يحبهم الشقاقي ويعرفه جيدًا، لقد كان محتوى الرسالة فيه من الشدة والقساوة على شخص الشقاقي والمعاتبة له، أنه يوجد تقصير وفتور، وكان اللوم والعتاب وبعض العبارات للشقاقي، منها كما ذكرت بعض القسوة، وبعد فترة من الزمن جاءنا الرد من الشقاقي برسالة طيبة ولطيفة وفيها تحبب وتقبل لكل نقد وعتاب، وخاطب الشيخ بشكل ودي، وعبر له عن حبه واحترامه له، ومعرفته الشخصية به ومعرفة صدق الشيخ وحرصه على استمرارية الانتفاضة وتطويرها وتقدم الحركة نحو الدعوة والجهاد، وأن ظروفهم وإمكانياتهم محدودة جدًا، وما يلاقونه من صعوبات وعقبات، ومع هذا ختم رسالته بالقول إنه لن يدخر جهدًا في عطائه ومسيرته وجهاده، ثم ختمها بالقول: «لا والله حتى تروا دمي على صدري». بهذه الكلمات أنهى الشقاقي رسالته وبها قولًا وفعلًا أنهى حياته وقد وعد وأوفى بصدق النية فصدق الله وصدقه الله، ونال شرف الشهادة، وفي يوم استشهاده كنت قد انتقلت من سجن جنيد المركزي إلى سجن نفحة الصحراوي إلى قسم (4) يومها جاء خبر الاستشهاد، وعدت بالذاكرة إلى تلك المقولة منذ ستة سنوات، والله حتى تروا دمي على صدري، شاهدت صورته على شاشة التلفاز وهو

ملقى على الأرض، وقد تخضب بدمائه الطاهرة، وفور إحضار الصحف إلى السجن حصلت على نسخة منها، وجلست صامتًا أمعن النظر في صورته، وعدت لسنين مضت وليوم استلام رسالته، أنظر إلى صدره ودمه، قلت ما أصدقك يا أبا إبراهيم وما أبرك! وعاتبت نفسي، قد قسونا على أبي إبراهيم حينها، ولكن سعة صدره كانت أكبر لكونه دائم الحب والوفاء، وقلت لمن حولي: أنظروا إلى أبي إبراهيم! لقد أقسم أن نرى دمه على صدره وقد أبرَّ بقسمه، وصدق أبو إبراهيم الشقاقي، احتفظت بالصورة في ألبوم صوري، وكلما شاهدها أحد حدثته عن الرسالة وعن قسمه.

في القدس بوابة السماء، وروح عماد تصعد من بوابتها

مستشفى المقاصد الخيرية
الإسلامية في القدس.

في القدس بوابة السماء، وروح عماد تصعد من بوابتها

يوم الثلاثاء الحزين، كنت في سجن ريمون، وهذا اليوم كان من المفترض أن أزور أهلي كما يفترض، جاء موعد الزيارة وخرج الأسرى لزيارة ذويهم وأنا بقيت في غرفتي؛ لعدم قدوم أحد من أهلي للزيارة، ولأنهم انشغلوا بفاجعة ومصيبة فقدان ووفاة أخي الأكبر عماد. أخي عماد هو الأكبر بين إخواني الذكور، والثاني بين جميع الإخوة، أي بِكْر والدي من الذكور، كان يعمل مديرًا، مدير المدرسة الأساسية للبنين في بلدي، متزوج من ابنة عمي وعنده ثلاثة أولاد وبنت وحيدة، بعد منعه من زيارتي لعشر سنين تعسفًا وإجرامًا من الاحتلال يسمح له بزيارتي وكأنه حضر لوداعي على الرغم أننا لم نكن نعرف شيئًا عن مرضه الذي توفى به، جاء وزارني في سجن جلبوع بشهر رمضان عام 2009م وعلامات السفر والتعب عليه، طلبت منه أن يستريح ولا يجهد نفسه بالزيارة، تلك الزيارة كانت مليئة بالشوق والحنين والدموع التي بكاها عندما أخبرني أنه عقد قران ابنته الوحيدة لشاب من البلد، وهو ابن صديق قديم له، كان قد سافر للسعودية، ويعمل هناك، ثم شاء القدر أن عاد للبلاد ويريد تزويج ابنه وكان النصيب، ثم حدثني عن تخطيطه للمستقبل وأن في نيته التقاعد المبكر من الوظيفة، وأن يتوجه لمساعدة أحد أبنائه بفتح محل تجاري يعتاشون منه، انتهت الزيارة وفارقت عماد، ولم أتواصل معه، ولم أره بعد ذلك اليوم.

نقلت إلى سجن شطة، ثم إلى سجن رامون، وهناك بدأت الأخبار تصلني مع أهلي الذين قدموا لزيارتي فأخبروني من خلال الزيارة أن أخي عماد قد أصيب بمرض السرطان، والعياذ بالله، وبدأ برحلة العلاج إلى الأردن، ثم إلى المقاصد الإسلامية في القدس الشريف، ولم يرحمه المرض كثيرًا، خلال ثلاثة شهور توفاه الله، ولله الحمد، قبل الوفاة زارني بعض إخواني وحاولوا طمأنتي أنه يحصل على علاج جيد وأنه إن شاء الله في حالة تحسن، ثم قدمت والدتي لزيارتي زيارة خاصة، من خلال الصليب الأحمر وكانت تلك آخر زيارة لوالدتي لي قبل وفاتها، رحمها الله، والتي أمضت أربعين دقيقة من الخمس والأربعين المقررة للزيارة، وهي تبكي على عماد وخوفها على عماد وتنقل لي سلامه وشوقه ورغبته بزيارتي ورؤيتي، وبين بكائها ودموعها ودعواتها، تؤكد علي بضرورة الإكثار من الدعاء لأخي عماد لعلَّ الله يشفيه لها، دعوت له وطمأنت والدتي، سلمنا أن الأمر بيد الله وحده وأعمارنا مقدرة ومكتوبة وما علينا فعله نفعله من دواء ودعاء، والأمر أولًا وأخيرًا بيد الله سبحانه. ذاك اليوم لم يكن متوفرًا في داخل القسم أجهزة مهربة ولا يوجد وسيلة للتحدث مع أخي إلا بتوجه بكتاب خطي من خلال ممثل الأسرى ومدير السجن المجرم بطلب الحديث مع أخي لبضع دقائق وهو في مشفى المقاصد، وفي أيامه وساعاته المتبقية كان الرد سلبيًا، ورفض إعطائي هذه الفرصة والدقائق الأخيرة للحديث مع أخي، لم أتوقع غير ذلك من هؤلاء المجرمين، وكل ما سمعته من أخي هي سلامات عبر أثير راديو وبرنامج الأسرى الذي كان يشرف عليه صديق عزيز وزميل لي في الأسر بعد أن خرج من

السجن إلى بلده غزة، وكان على تواصل دائم مع والدي وأخي وهو الصديق الدكتور رأفت حمدونة (أبو خليل) الذي أكن له كل الحب والتقدير والاعتزاز والفخر بصداقته.

في القدس كانت الوفاة، وهذا ما حدثتني به زوجته أم محمد، قالت إن حال عماد قد تراجعت فقررت مع والدي إحضار سيارة إسعاف ونقله للمقاصد، سافرت معه وحدها من جنين؛ لأن الاحتلال يرفض السماح لابنه وإخوانه دخول القدس متمسكة بأمل الشفاء لزوجها إلا أن حالته الصحية ساءت ووصلت إلى مرحلة اللاعودة، ولا أمل له بالشفاء حسب ما قدَّر له الأطباء وأبلغوها أنه لا أمل ولا مجال للمساعدة بشيء، بل الأفضل نقله فورًا لمنزله؛ لأنه خلال ساعات ربما يفارق الحياة، ويلفظ أنفاسه الأخيرة، قالت لي لم يعد بمقدوري فعل شيء، وأنا وحيدة وغريبة في القدس الشريف، لا أعرف أحدًا، الأطباء يطلبون مني إخراج زوجي من المشفى وزوجي في حالات النزع الأخير، يا الله!، ماذا أفعل وأنا امرأة وحيدة ولا معين لي غير الله! اتصلت بعمي وأطلعته على حال زوجي، وما أبلغني به الأطباء، فجاء رد عمي ووالد زوجي أن أبقى في قاعات مشفى القدس هذه الساعات حتى يلفظ أنفاسه الأخيرة ويفارق الحياة في القدس الشريف، ولتصعد روحه منها إلى السماء، أوليس بوابة السماء فوق القدس، من القدس كان صعود السيد المسيح عليه السلام إلى السماء عندما حاول اليهود قتله، بل رفعه الله إليه، من القدس الشريف إلى بوابة السماء عرج الله بنبيه محمد صلى الله عليه وسلم بعد أن أُسري به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله.

تقول أم محمد: جلست إلى جوار زوجي كما طلب عمي، وبدأت أنادي وأصيح في الناس من حولي، بالله عليكم زوجي يحتضر وأنا وحيدة وغريبة ولا أحد من أهلي، اقتربوا من حوله وادعوا له معي في لحظاته الأخيرة، ومن عنده شيء من القرآن والدعاء والتلقين للميت. قالت لي الناس تعاطفوا معها، وكل حسب معرفته وقدرته، أما عماد رحمه الله ما طلبه منها وهو يودعها ويوصي على أولاده، وهي تطمئنه أن ابنه البكر أصبح رجلًا فلا تخف عليهما، وسألها أين أهلي؟ قالت له كل هؤلاء الناس من حولك هم أهلك.

ثمين ينعي لي أمي بدموعه

والدة الأسير المجاهد رائد السعدي
مع شقيقه ثمين.

ثمين ينعي لي أمي بدموعه

ثمين هو أخي الخامس من بين الذكور والتاسع في العدد الكلي، وهو شاب موظف في إحدى الدوائر الحكومية الفلسطينية، في ذاك الوقت كان متزوجًا ولديه طفلة صغيرة جميلة ورائعة جدًا(زين)، وولد صغير أسماه (رائد) على اسمي رغم أن والدتي رحمها الله لم تكن تحب تسمية أحد على اسمي لمفهوم لديها أن هذا فأل غير محبب. ثمين كان يسكن في شقة صغيرة في الطابق الرابع من العمارة السكنية، ورغم صغر بيته إلا أن والدتي كانت الأكثر راحة نفسية عند ثمين، رغم بر الجميع بها، من بيته خرجت والدتي للمشفى قبل أسبوع من وفاتها ولم تعد إلا إلى مثواها الأخير. ثمين كان يمضي جلَّ يومه وهو بجوار والدتي وهو الذي يقوم على قضاء كل حاجات الوالدة وخدمتها بنفسه، ويكاد لا يذهب للدوام إلى وظيفته في خلال الشهر الذي كانت والدتي عنده في بيته؛ لأن إخواني كانوا جميعًا يناوبون على استضافة الوالدة عندهم لخدمتها، حتى إن أخي ثمين أخبرني أنه أصبح مهددًا بفقد وظيفته لكثرة إجازاته وتغيبه لولا تفهم مديره في العمل لظروفه الخاصة.

خرج ثمين يقصد إحدى الصيدليات لإحضار دواء خاص لوالدتي غير متوفر في المشفى، عندما اتصلت عليه للاطمئنان على والدتي إلا أنه لم

يتمالك نفسه وأجهش بالبكاء حزنًا على والدتي لما وصل بها الألم والمرض، وأنها لم تستطع أن تبتلع الماء الذي كان يسقيها إياه من خلال أنبوبة صغيرة، ولذلك نقلها إلى المشفى، وكيف أنها أصبحت في غيبوبة تامة، وأن حالتها الصحية تسوء. ماذا أفعل أنا يا الله لا أملك من أمري شيئًا ولا أستطيع فعل شيء لوالدتي سوى الدعاء والتضرع والبكاء إلى الله أن يرحمها ويعافيها ويخفف عنها، دعوته سبحانه أن يجعل كل أمراضها وأوجاعها وألمها في جسدي بدلًا منها وأن يرحمها، ولا أملك لها أكثر من ذلك، والله إن هذا كان أحب وأهون على نفسي، أقل ألمًا مما كنت أتألمه لألم والدتي، ولكن هذه إرادة المولى عز وجل، ولا راد لقضائه، ونحن راضون ومسلمين له سبحانه، عند ذلك شعرت بالخطر والأجل الذي يقترب من والدتي والتي انتظرت الأيام والساعات للخروج من السجن لاحتضانها والركوع على قدميها وتقبيلهما، وهذا ما رجوته من أخي أن يقبل رأسها ويديها وقدميها، وهذا ما فعله بالنيابة عني.

أما الحادثة الثانية مع ثمين ووالدتي ما أخبرني به أخي، يقول لي في إحدى الأيام وأنا أحضر والدتي لبيتي كنت أحملها بيدي وأصعد بها إلى شقتي، وأنا متعب وعرقي يصب من جبيني، قال نظرت والدتي إليَّ وأنا على هذه الحال، والدتي امرأة أميَّة لا تقرأ ولا تكتب نتيجة أوضاع اجتماعية كانت في ذلك الزمن، رفض جدي إرسالها لمدرسة البنات كما أخبرتني والدتي، وكانت كثيرًا ما تقول الله يسامح والدي لم يرسلنا للمدرسة؛ لأنها متواجدة في إحدى الحارات الأخرى وهو لا يقبل أن تذهب بناته لحارة أخرى للدراسة، قال لي ثمين إن والدتي رحمها الله تكلمت بكلام لم يسمعه لا

من شاعر ولا من كاتب ولا من عالم، بل هو كلام من أم لولدها رغم أنها كما ذكرت لم تكن تتحدث إلا بالقليل وردًا على من يخاطبها، قالت والدتي: أمتعب أنت يا ولدي من حملي؟ إن شاء الله كما تحملني أحمل عنك ذنوبك يوم القيامة، هذا هو قلب أمي وقلب كل أم، ويحضرني الآن هذا الحديث الذي دار بيني وبين أمي في أحد اتصالاتي بها، شكت لي آلامها والأوجاع التي تعاني منها، قلت يا والدتي أسأل الله أن يشافيك ويعافيك ويرحمك، ولكن لا أملك من أمري شيئًا، والله أتمنى وأرجو أن تكون كل أوجاعك وآلامك في جسدي فداء لك، ولكن _سبحان الله_ ما أعظم حنان أمي وكل أم، قالت لي رد عليَّ، إن شاء الله أنت تبقى سالم وأنا أحمد الله على هذا الحال وكل حال، المهم أن تخرج لي وأضمك لصدري، إلا أن يد القدر سبقت إلى روحها الطاهرة بسلام، كنت دائم القول لها: يمه ارضي عني وسامحيني، تقول لي في ردها الجميل الطيب الله يرضى عليكم جميعًا وكل إخوانك، هكذا تجمع في كل دعاء جميع أبنائها.

أعود ليوم وفاة أمي، في ليلة ذاك اليوم رأيت والدي في المنام وكلاهما كان في حالة مرضية شديدة حتى إن والدي كان في حالة أشد خطورة مما رأيته في ذاك المنام، والدي يجلس أقرب إليَّ ووالدتي إلى جانبه من الطرف الآخر، تقول لوالدي سلم عليه وقل له دير بالك على حالك، واستيقظت من منامي وقلت الله يستر: هذا وداع من والدتي _سبحان الله_ ذاك اليوم يوم الخميس من كل أسبوع يحضر جهاز الاتصال لغرفتي للحديث مع الأهل لمدة عشر دقائق فقط، بدأت يومي بالاستيقاظ من النوم لصلاة الفجر، وبعد ذلك خرجت لساحة السجن في الساعة السابعة تقريبًا لممارسة

النشاط البدني، ساعة الرياضة اليومية، عدت لغرفتي أخذت حمامًا سريعًا، صليت صلاة الضحى، وأكلت شيئًا بسيطًا وانتظرت دوري للحديث مع الأهل حتى أطمئن على حالة والدتي وقلقي من تلك الرؤيا في منامي، وهذا ما حصل فعلًا، و_سبحان الله_ اتصلت على ثمين أخي رد عليَّ أنه في المشفى عند والدتي وهو خارج الغرفة وإخواني وأخواتي معه، وقد دخل طاقم الأطباء لغرفة والدتي، وهم يحاولون إجراء عملية إنعاش للقلب، قلت له هذا يعني أن والدتي في حالة حرجة جدًا، قال لي قبل قليل خرجت ممرضة تقول إن الوضع مستقر، اعتقدت أن ثمين يريد أن يخفف عني وطأة المصيبة القادمة، ولم ينهِ حديثه معي، وفي هذه اللحظات يخرج الأطباء، هكذا يحدثني ثمين يقول رائد ها هم الأطباء يخرجون من عند والدتي، رائد والدتي توفيت رحمها الله، قلت يا الله! لك الحمد، إنا لله وإنا إليه راجعون، الله يرحمك يمه. عندها لا تسمع إلا بكاء وصراخ إخواني وأخواتي، ماذا أفعل أنا؟ والدتي تموت وأنا جالس لا أستطيع فعل شيء، ولا حتى تقبيلها ووداعها، ولا حتى البكاء عليها، حاول ثمين أن يهون عليَّ المصاب ويصبرني بقوله الحمد لله هذه راحة لها من كثرة تألمها وعذابها ورحمة الله أوسع لها، بدوري حاولت أن أصبِّر إخواني وقلت حمدًا لله، ونرضى بقدر الله، ثم طلبت من أخي أن يضع جهاز الاتصال بالقرب من أذن أمي؛ لأودعها، دعوت الله، طلبت منها مسامحتي لغيابي عنها كل هذه السنين وتقصيري بحقها، طلبت رضاها وعفوها وأن يرحمها الله ويكرمها فهو أهل العفو والكرم سبحانه، وأرجو من كل من يقرأ هذه السطور أو يسمع بها أن يدعو الله أن يرحمها.

أوصيت أخي أن يقوموا بواجبها وإكرامها ودفنها؛ لأنني كنت مضطرًا لإنهاء المكالمة فقد انقضت العشر الدقائق المخصصة لي، وطلب مني الشاب الذي ينظم الدور أن وقتي انتهى، وهو طبعًا لا يعرف مع من أتكلم؛ لأني لم أظهر لأحد ماذا يدور بيني وبين من أتحدث معه، ولسان حالي يقول ما قاله الإمام علي _كرم الله وجهه_:

فإِن تَسأَلَنّي كَيفَ أَنتَ فَإِنَّني صَبورٌ عَلى رَيبِ الزَمانِ صَعيبُ

حَريصٌ عَلى أَن لا يُرى بي كَآبَةٌ فَيشمُت عادٍ أَو يُساءَ حَبيبُ

أنهيت مكالمتي، سلمت الجهاز لغيري، جلست على سريري شارد الذهن لا أحد يعلم بعظم مصابي وألمي إلا الله سبحانه، عندها دخل لغرفتي ابن أختي الذي كان يسكن معي في نفس القسم ولكن في غرفة أخرى، وتوجه بسؤال بشكل فوري عن حال جدته، أجبته الله يرحمها، صدم الآخر وشرد بذهنه لا يعرف ماذا يفعل وماذا يقول، نقول حسبنا الله ونعم الوكيل، رحمها الله.

الحبيبة زين

الطفلان زين ورائد أبناء شقيق الأسير المجاهد رائد السعدي.

الحبيبة زين

في إحدى أيام تواجدي في سجن نفحة حضر إلى السجن طاقم تلفزيوني صهيوني لإعداد تقرير إعلامي عن واقع السجن والحياة فيه، وطبعًا مثل هذه البرامج هي لخدمة الإعلام والتحريض ضد الأسرى، ولن تكون مثل هذه التقارير الإخبارية لمصلحة الأسرى أو التركيز وإظهار حياة المعاناة للأسير وأهله، بل هي للنيل من الأسير وإظهار بعض مظاهر الحياة التي يراد بها النيل من شروط الحياة. بدأ اليوم مع ساعات الفجر الأولى بإيقاظ الأسرى من نومهم، ثم إجراء ما يسمى العدد الصباحي للأسرى، ومن ثم الخروج إلى ساحة السجن لممارسة ساعة اللياقة البدنية (رياضة)، وطبعًا هي ساحة صغيرة جدًا قياسًا مع نزلاء القسم، والطاقم الصحفي والتلفزيوني يقوم بالتصوير وصادف ذلك اليوم كما ذكرت وجودي في ذاك القسم، وبعد العدد الصباحي وكعادتي خرجت إلى الساحة لممارسة ساعة الرياضة الصباحية ثم رافقنا الطاقم التلفزيوني لتلك الساحة وبدأوا بالتقرير وكان من نصيبي ذاك اليوم أنه تم تصويري وبث ذاك التقرير على قنوات تلفزيونية وعلى شبكة النت، وخلال ممارستي للرياضة طلب الطاقم التلفزيوني إجراء حديث معي وكان جوابي له بالرفض؛ لسببين أولًا هذا التقرير كما قلت يستخدم ضدنا والتحريض علينا؛ لأنه بعد تسجيلهم يقومون ببث ما يريدونه وما يخدم مقاصدهم وليس ما يظهر معاناتنا وإنسانيتنا وحريتنا المسلوبة، وثانيًا أن

هذا الطاقم يريد تقديم برنامج يخدم الشخص أو الجهة التي تعد مثل هذه البرامج، فلماذا أقدم له مثل هذه الفرصة وهو لا يقبل أن يسجل لنا مقابلات تبث مباشرة، وأحيانًا بعض الأسرى يقعون في مثل هذا الشرك الذي يعد لهم وبدورهم يتحدثون بأحاديث تقوم تلك الجهات ببث ما تريده لإظهارنا على أننا وحوش نمارس القتل.

ابنة أخي ثمين وهي زين، هي طفلة جميلة جدًا وأكثر ذكاءً وهي المحبوبة المتفوقة في مدرستها، هي تحب الدراسة وكثيرة المطالعة وظهرت علامات الذكاء عليها منذ السنين الأولى من عمرها وتفوقها اليوم بمدرستها يؤكد هذا الشيء، وتميزت كثيرًا بصفات القناعة والإيثار على نفسها، حدث ذلك معي يوم أرسلت لها علبتي حلوى وعند اتصالي بهم شكرتني قائلة عمي كان يكفي أن ترسل لي واحدة فقط وتبقي الثانية لك، ثم أخبرني والدها أنها عندما تذهب لروضة الأطفال تُصر أن تحتفظ بمصروفها اليومي وعندما تعود للسكن تشتري به من بقالة العمارة عندهم بعض الحلويات؛ لتقدمها لأخيها الأصغر رائد، هكذا كانت وهي الآن مستمرة بهذه الأخلاق والمزايا والسلوك، إنها زين التي عانت لمدة سنتين من مرض الرعاف (نزيف الأنف) وأزمة في التنفس، وتم عرضها على كثير من الأطباء المتخصصين وتناولت كثيرًا من العلاجات وذلك كان له التأثير السيء على صحتها الجسدية؛ ولكنه لم يؤثر أبدًا على نشاطها الدراسي وتفوقها، إلى أن سافر بها والدها إلى طبيب مختص في الأردن بعد أن سمع عنه أنه طبيب صاحب خبرة وتجربة طويلة، ولكي يكتب الله لها الشفاء على يديه، وبعد أن قام بتشخيص مرضها وبشكل جيد وكان عبارة عن وجود حساسية معينة في الدم، ومثل

هـذا الفحـص نـادر الوجـود ويتـم ذلـك بغـرزه سـت عـشرة إبـرة فحـص بكلتـا يديهـا، كل واحـدة ثمانيـة، ويتـم التشـخيص بذلـك لأنـواع الحساسـية والعـلاج الـذي يتـم تناولـه وتقـوم بتركيبـه شركـة متخصصـة في الأردن، ولا يوجـد مثلـه في الصيدليـات العامـة، ويؤخـذ هـذا العـلاج لمـدة ثـلاث سـنوات، كل سـنة لمـدة أربعـة أشـهر، والآن نحـن ننتظـر المرحلـة النهائيـة للعـلاج، ولله الحمـد أن صحـة زيـن ممتـازة وهـي متعافيـة، أبلغنـي أخـي أن ذاك الطبيـب كان مـسرورًا بزيـن وتبـادل معهـا حديثًـا لطيفًـا وبتحبـب قـال لهـا عندما تكبريـن يا زيـن مـاذا تريدين أن تصبحـي؟ قالـت وبـدون تـردد طبيبـة أطفـال، وبـكل لطـف ومحبـة رد عليهـا الطبيـب إن شـاء الله يـا زيـن وتجلسـين مـكاني عـلى هـذا الكـرسي.

وعـودة إلى مـا فعلتـه زيـن يـوم بـدأت جائحـة الكورونـا واتخـذت الحكومـة الفلسـطينية إجـراءات وقائيـة ومنهـا قـرار التـزام البيـوت لأسـبوعين حفاظًـا عـلى حيـاة النـاس ومنعًـا مـن انتشـار الوبـاء، وكان هـذا القـرار صائبًـا ولكـن بعـض الأصـوات بـدأت تخـرج رفضًـا لذلـك ورفضًـا لإغـلاق المسـاجد وبـدأ العـمال العائـدون مـن الداخـل الفلسـطيني المحتـل بالتهـرب مـن الطواقـم الطبيـة التـي تحـاول إجـراء الفحوصـات، يومهـا مـا كان مـن زين إلا أنهـا دخلت عـلى شـبكة الإنترنـت وحصلـت عـلى الشريـط المسـجل الـذي أظهـر بـه وأنـا في السـجن وأمـارس الرياضـة وكتبـت مخاطبـة للنـاس الذيـن يتذمـرون ويتهربـون مـن الحظـر والبقـاء أسـبوعين في بيوتهـم حمايـة لهـم ولعائلاتهـم ولشـعبهم قائلـة: «عمـي الـذي أحبـه وأفتخـر بـه لـه أكثـر مـن ثلاثـين عامًـا صابـرًا في السـجن وأنتـم لا تصـبرون أسـبوعين في بيوتكـم حفاظًـا عـلى حياتكـم وعائلاتكـم». هـذه هـي الحبيبـة زيـن وأنـا أيضًـا جـدًا أحبهـا وأفتخـر بهـا مـع دعائـي لهـا ولأقرانهـا بالصحـة والعافيـة والتفـوق الدائـم والنجـاح.

دموع قلبي وعيون السماء تبكي أمي

الأسير المجاهد رائد السعدي برفقة والديه خلال زيارتهم له في السجن.

دموع قلبي وعيون السماء تبكي أمي

اليوم الثالث من تشرين الأول، في صباح هذا اليوم وبعد صلاتي للفجر غادر النعاس أجفاني وعادت خواطري وأفكاري إلى ذاك اليوم الذي أخبرت فيه بوفاة والدتي رحمها الله، والتي لم تغب عن بالي يومًا ولا ساعة ثم عادت هذه الذكرى؛ لأنني بدأت التفكير والحديث مع بعض الأصدقاء عن النية بكتابة بعض من سيرة حياتي خارج السجن وداخله.

في يوم الخميس الموافق 19/ 06/ 2014م أبلغني أخي عبر جهاز الاتصال المهرب إلى السجن بوفاة الوالدة رحمها الله، جلست في مكاني والبعض حولي، حقًا كنت بجسدي معهم أما قلبي وعقلي وكل تفكيري كان خارج أسوار السجن، ذهبت فورًا عند والدتي وهي على سريرها متوفاة، عدت إلى طفولتي إلى أحضانها، إلى شبابي، ثم غيابي كل هذه السنين التي كانت بأسرها حتى أعود وأكون إلى جانبها وهي تلفظ أنفاسها الأخيرة مودعة إلى الرفيق الأعلى. غبت عنها وهي في أشد وأصعب سنين حياتها، في مرضها في عجزها عن أي حركة حتى شربة الماء لم تكن تستطع شربها لوحدها ولا لقضاء أبسط حاجاتها، بعد أن شلَّ المرض نصف جسدها الضعيف، وكأنه لم يكتف بكهولة جسدها وشيبتها ومصابها بعد غيابي عنها كل هذه السنين الطوال، وقبل أربع سنوات كان الموت قد

اختطف أخي منها بعد أن أصيب بمرض السرطان رحمه الله.

غبت عنها في تلك اللحظات ولم أستطع أن أكون إلى جوارها ومواساتها. لم أنل شرف خدمتها بعجزها ولا بمرضها، وما أصعب هذا الحرمان من هذا الشرف، لشرف عظيم وأجر بر الوالدين، حرمت من شرف إكرامها وبرها حتى بدفنها في التراب بعد وفاتها؛ لأن في ديننا إكرام الميت دفنه، يوم دفنها ذهبت وخيالي إلى مقبرة العائلة، أين ستدفن أمي؟ يا الله من سيدخل معها إلى قبرها ووضع التراب عليه؟ وهل حقًا والدتي بكل كبر قلبها وحنانها غابت عني ولم تعد على الأرض، هذا القلب والحنان وهذه القامة الطويلة الجميلة دفنت كلها تحت التراب وأنا غائب عن والدتي ولم أكن بجوارها في هذه اللحظات، عندها حضرتني أقوال الإمام علي عند دفن الرسول عليه السلام، وهو يقول:

صبّت عَليّ مَصائبٌ لو أنّها صُبّت عَلى الأيّام صِرنَ لياليا

ماذا عَلى مَن شمّ تُربة أحمدٍ أَن لا يشمّ مَدى الزمان غَواليا

فهذا كان عزائي، فكل مصيبة بعد رسول الله تهون.

بعد ذاك اليوم وفي فصل الشتاء والسماء تمطر، ربما أمام الناس كانت عيوني قليلة الدمع، ولكن والله دموع قلبي كانت أشد غزارة من عيون السماء الماطرة، يا الله قلت لنفسي ما أقل برك بوالدتك يا رائد، أي ولد عاق أنت بوالدتك، كل هذه الأمطار الغزيرة والبرد على قبر والدتك ولا تفعل شيئًا لدفع المطر والبرد عنها، ليتني أستطيع أن أحتضن قبرها بعد

أن منعت من احتضانها، لكانت سبقتني وبادرت إلى ضمي لحنان صدرها ودفء قلبها، حتى إنك لم تفعل ما فعلته تلك الحاجة في شبابها يوم فقدت زوجها وابن عمها، قالت حملت قطعة من النايلون وذهبت لأغطي قبر زوجي وابن عمي عندما أمطرت السماء، بكل بساطة، حب ووفاء لزوجها، هذه الرواية التي سمعتها على لسان تلك الحاجة أم حسن من قرية البعنة من أرض فلسطين المحتلة عام 1948م والتي روتها عن نفسها.

نظرة أمي الأخيرة، والدتي تفتح عينيها مودعة ابنتها

والدة الأسير المجاهد رائد السعدي
وهي على فراش المرض.

نظرة أمي الأخيرة، والدتي تفتح عينيها مودعة ابنتها

حدثتني أختي أم يوسف وهي أصغر أخواتي ومدرسة للتربية الإسلامية في إحدى زياراتها لوالدتي في المستشفى حيث كانت والدتي قد دخلت المستشفى في الأسبوع الأخير من حياتها، وقد دخلت في غيبوبة، ولله الحمد في هذا الأسبوع إخواني وأخواتي وبنات خالتي لازموا المستشفى ولم يفارقوها بشكل دوري وعلى مدار الساعة بجوار والدتي وقراءة القرآن وختمته عند والدتي، وبشهادة مسئول الممرضين في المستشفى الذي قدم لي التعازي يوم الوفاة، وقوله خمس وعشرون سنة وأنا ممرض في المستشفى لم أشهد مثل إخوانك وأخواتك برًا وملازمة لأمهم مثل ما فعلوا إخوانك، ولله الحمد.

أعود لزيارة أم يوسف، في ذلك اليوم قالت لي أردت أن أذهب لزيارة والدتي في المستشفى فطلبت مني ابنتي البكر، والتي كانت صغيرة، ابنة ثلاثة عشر عامًا وهي اليوم طالبة طب في الجامعة الأمريكية أن ترافقني لزيارة جدتها؛ لمحبتها لجدتها والتي كانت جدتهم تبادلهم حبًا أكبر، قلت لابنتي جدتك في غيبوبة ولا تعرف من يحضر لزيارتها ولا ترى أحدًا، إلا أن ابنتي ألحت عليَّ برغبتها لمرافقتي وزيارة جدتها؛ لأنها تريد أن ترى جدتها. تقول أم يوسف بعدما وصلت وجلست عند

والـدتي وقـرأت القـرآن عليهـا وقفـت إلى جانـب سريرهـا أنظـر إليهـا وابنتـي إلى جانبـي ناديـت عـلى أمـي، يـا أمـي وبلهجـة عاميـة «يّمـة» ردت عـليَّ نعـم.

ثـم كـررت المنـاداة عليهـا ثانيـة «يمـه» فـردت مـرة ثانيـة نعـم، وهـي في غيبوبتهـا تخـبرني أم يوسـف أنهـا اسـتدارت بنظرهـا بعـض الـشيء عـن والـدتي، وإذا ابنتـي الصغـيرة تنـادي والـدتي جـدتي فتحـت عينيهـا ونظـرت إليـك، قلـت لابنتـي أن جدتـك في غيبوبـة، أكـدت الطفلـة أن جدتهـا قـد فتحـت عينيهـا ونظـرت نظـرة الـوداع لمـن تحـب، ولأكثـر مـن تحـب مـن أبنائهـا، كيـف لا وهـي الصغـيرة الأكثـر ورعًـا وبـرًا وحبًـا لوالديهـا، والأكثـر ورعًـا ووصـلًا لهـم، عـلى الرغـم مـن ضيـق الوقـت وكثـرة المسـؤولية والمشـاغل لهـا، مـن مهنتهـا في التعليـم في المـدارس ومسـؤولية بيتهـا وأبنائهـا، لم تنشـغل أو تقـصر بواجبهـا لوالديهـا، مـن مثلـك يـا أم يوسـف بدينهـا وخلقهـا، ومـا زالـت عـلى ذلـك بـرًا بوالدهـا.

الحبيبان يوسف ونور

الطفلان يوسف ونور أبناء شقيقة
الأسير المجاهد رائد السعدي.

الحبيبان يوسف ونور

من طرائف حديثي مع أختي أم يوسف التي أحبها وبناتها الخمس وابنها الوحيد يوسف كحبي لوالدتي؛ إذ إنني أخاطبها أحيانًا كأنها والدتي. ما حدثتني به عن ولديها يوسف ونور، فهما توأم والأصغر في بيتها من الأطفال، فهما جميلان ككل الأطفال، بل من أجملهم، نور تشاهد التلفاز وتسمع أن الأسرى يضربون عن الطعام، وفي أحد التقارير يتحدثون عن شرب الماء وتناول الملح، فما كان من نور الحبيبة وكما أخبرتني أم يوسف إلا أن دخلت المطبخ وأخذت تضع الملح في كوب ماء وتذيبه، فقالت أم يوسف: إنها سألتها، نور ماذا تفعلين؟ فأجابت بكل براءة وبساطة كطفولتها البريئة، إني سمعت أن الأسرى يشربون ماء وملحًا أريد أن أشرب كما يشرب خالي. فتقول أم يوسف، الحمد لله، أن نور لم تشرب هذا الملح، وأوضحت لها أنهم لا يشربون الماء والملح إنما يشربون الماء ويتناولون فقط رشة ملح، قالت تفهمت الطفلة الأمر وعادت تلهو في البيت مع يوسف.

أما الحدث الثاني مع يوسف ونور فكان في أول أيام شهر رمضان المبارك سنة 2020م، تقول أم يوسف استيقظنا أول أيام رمضان للسحور، واستيقظ يوسف ونور معنا، فقلت ربما هذه بهجة رمضان وفي الصباح سوف يعودوا إلى اللعب واللهو، ويتناولون طعامهم وشرابهم؛ لأنهم صغار

في العمر وبنيتهم الجسدية لا تتحمل الصيام لشدة الحر وطول النهار إلا أن نور ويوسف أصروا على الصيام. يومها تحدثت معهما باتصال هاتفي كما كنت أفعل أغلب الأيام، وشكت لي أم يوسف نور ويوسف، وما دار بينهم من حديث، وأنها أخبرتهما بنيتها الحديث مع خالهما لتشكوهما إليه، وهذا كله للحب المتبادل بيني وبينهما، بدوري تحدثت معهما وشددت عليهما أن لا يصوما، وبعد إلحاح شديد وتهديدي لهما بأني سأزعل منهما، ولن أتحدث معهما بعد، يوسف وجد المبرر بسهولة وتناول طعامه وشرابه، أما نور فقد عبرت عن زعلها بالبكاء بعد أن شربت كأس ماء وحبة تمر، أما طريف الأمر مع يوسف فقد ذهب لبيت عمه المجاور للعب مع أبناء عمه، فسألته زوجة عمه هل أنت صائم، يوسف، هنا كان رد يوسف وتبريره لها، قال يوسف، ماذا تقولين عن شخص يتصل عليه خاله من السجن ويطلب منه الإفطار، ماذا يفعل؟ إجابة زوجة العم، نعم يطيع خاله، هكذا وجد يوسف لنفسه المبرر والعذر لعدم الصيام، وهذا رأيي أنه يجب على الوالدين أن لا يتركوا أو لا يرغموا أولادهم الصغار على الصيام؛ لأن في ذلك خطرًا وضررًا على صحتهم ونموهم، وهم في مثل هذا العمر، هذا إن صام الكبار في هذه الأيام إلا أن نور لم تتنازل بهذه السهولة، ففي أحد اتصالاتي معهم، قالت لي إنها قررت الصيام اليومين الأخيرين من رمضان، وتعهدت بالإفطار إن شعرت بتعب إلا أننا اتفقنا على اليوم الأخير فقط، وحسب شرط سابق إن تعبت أن تفطر، ولكن كان كل ذلك لدعم نيتها، وهذا ما بدر من هذه الطفلة الحبيبة، أنا سأصوم من أجل الدعاء لله سبحانه وتعالى عند الإفطار أولًا أن يفك أسرك يا خالي، وثانيًا

أن يبعد الله عنكم الكورونا وثالثًا أن تفتح المساجد للصلاة؛ لأنها كانت في حينه مغلقة وقاية من الكورونا وهذه كانت خطوة صحيحة رغم اعتراض البعض عليها، وهذا ما كان من نور الحبيبة، في ذلك اليوم التزمت نور وصامت، إلا أن ذلك لم يتوقف، عند صيامها فقد عبرت لي أم يوسف أن نور قد أبكتهم عند الإفطار لكثرة ما ألحت بالدعاء، أسأل الله أن يحفظ نور وأمها ووالدها وأخواتها وأخاها يوسف.

جمعة الحنين

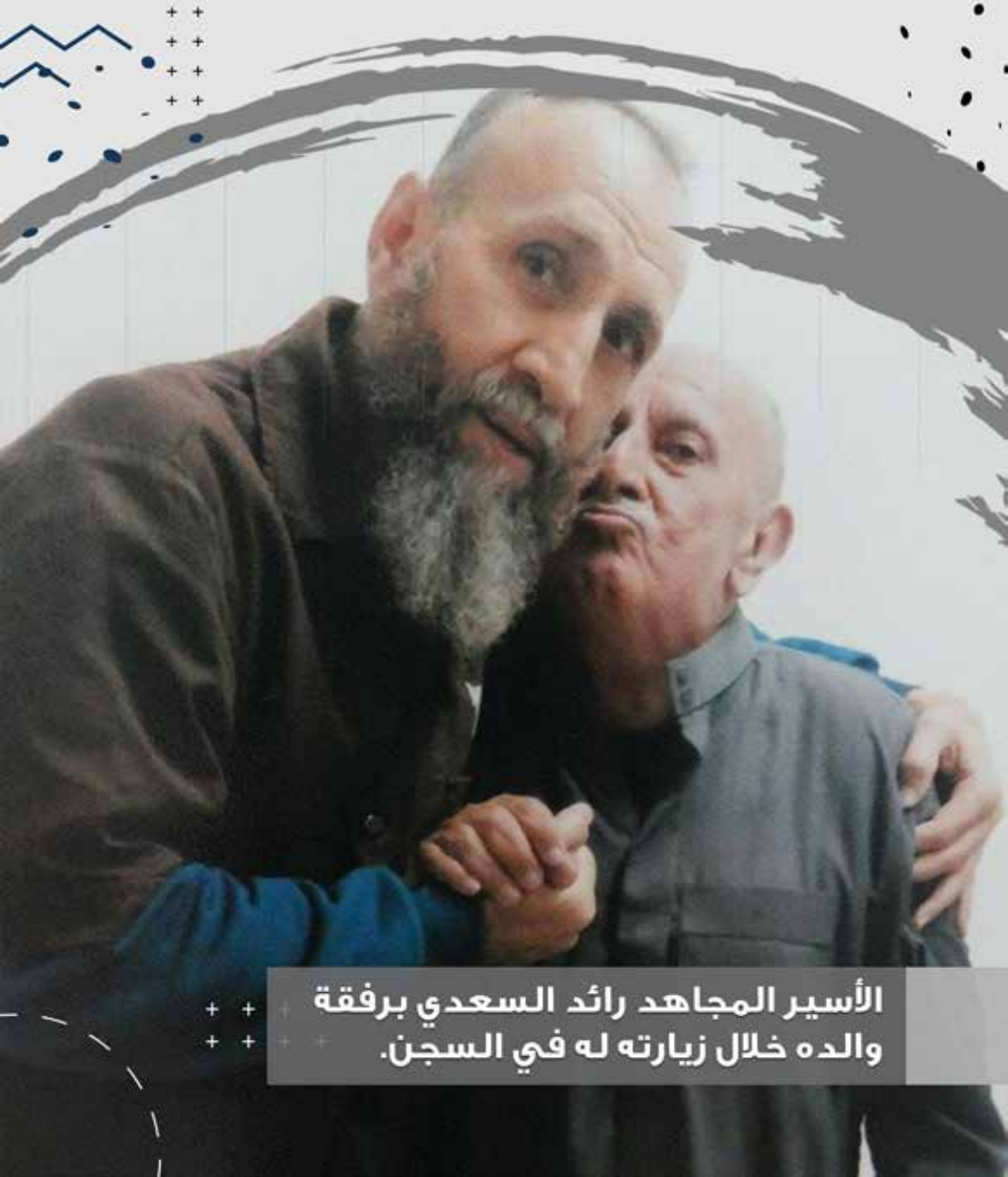

الأسير المجاهد رائد السعدي برفقة والده خلال زيارته له في السجن.

جمعة الحنين

أحد أيام الجمعة وبعد فترة من وفاة والدتي _رحمها الله_ اتصلت بوالدي حتى أطمئن على صحته وأوضاعه، كان ما كان حدِّث ولا حرج، خليط مزيج من غضب الوالد على كل شيء، وشوقه وحنينه لوالدتي، وبدأ الشكوى والعتب على أولاده ولم يستثن أحدًا بمن فيهم أنا الموجود في السجن، قال الوالد الذي أحبه وأحترمه كثيرًا وكان له الفضل بعد الله في نشأتي وتربيتي وتوجهي في حياتي ومسيرتي النضالية: أنا أجلس لوحدي وإخوانك وأخواتك في بيوتهم. وبدأ ولم يبقِ شيئًا كيف أنه يمضي الساعات الطويلة لوحده، وبدأت الحديث معه والتهوين عليه، وتقديم المبررات والأعذار لإخواني ومسؤولياتهم وانشغالهم ورزقهم وأولادهم ورعايتهم حتى إن بعضهم قد أصبحوا أجدادًا وجدات ولكل واحد همومه ومشاغله، ولكن هذا لم يخفف حزن والدي وإحساسه وشعوره بالوحدة ووحشه الحياة بعد فقدانه لوالدتي، وكيف لا وقد أمضوا معًا ما يزيد عن خمسة وخمسين عامًا بحلوها ومرها، بزعلهم ورضاهم، بخلافهم وتوافقهم حتى وصل الحال بوالدي أن عبر لي عن تلك الحاجة بقوله لي: والله لو أنني فقدتكم جميعًا ربما كان أهون عليَّ من فقداني لأمك حتى وهي عاجزة، على الأقل كانت تجلس إلى جواري وتواسيني بوحدتي ووحشتي، والآن أنا أرثي والدتك بقصيدة هي:

أبلغ عمادًا دموعي ما سلت ... ولا قلبي سلاه ولا عقلي له سالِ
أتتك أمك بالأحزان مثقلة ... وقلبها من دواعي فرحنا خالِ
من يوم فارقتها زالت سعادتها ... مات السرور وماتت راحة بالي
إن عائدًا أين في فردوسه العالي ... مات الحبيب الأمين المخلص الغالي
قالوا رثاها دموعًا فوق وجنته ... فقلت من بعدها أرثي أنا حالي
كانت هي الأم قد ودعت والدتي ... وكانت رصيدي في الدنيا وأموالي
وكنت سرًا جميلًا في سعادتنا ... ساءت ببعدك أيامي وأحوالي
فلا البنات والأبناء يسعدني ... ولا أحن لأعمامي وأخوالي
إذا مرضت تداويني ببسمتها ... وتمسح الحزن في حلى وترحالي
ذكراك في البيت ناقوس يذكرني ... صفو الحياة النقي الطاهر الغالي
على الوسادة أبكي وحدتي ألمًا ... وأسأل الليل عن فردوسك الخالي
وعندما وضعوها في الضريح ... بكى قلبي وماتت طموحاتي وآمالي
حياتي وأفكاري مشتتة ... لا القول قولي ولا الأعمال أعمالي
وغادر النور أجفاني ... وغادرني صفوة الحياة وأحبابي وأنجالي
البعض يرقص في أحيائه فرحًا ... والحزن عشعش في أحياء أمثالي
لو بعدها مالك الأموات خيرني ... العيش أحلى لها والموت أحلالي
يا أم رائد زاد الموت في ألمي ... مصيبتي عظمت في عصرنا الحالي
ابن سجين وأمٌ لم تودعه ... وما قلته ولا شيخ له قالِ
في جنه الخلد أرجو الله يُسكِنها ... فقد تحلت بأخلاق وأفضالِ

ومن طرائف القول قبل القصيدة قلت لوالدي تزوج، وأحيانًا كان يقول نعم أريد الزواج، وأحيانًا يعدل عن ذلك، ولكن من غرابة القول

ما كان يضعه من شروط للزواج، وأقسمت لوالدي لو كنت خارج السجن لما تركتك دون زواج لمدة شهر، هذا ليس قلة حب لوالدتي، بل لمعرفتي كم هي صعبة الحياة على رجل مسن دون زوجة تعينه على مشقة الحياة، ما دفع إخوتي أن يؤكدوا لي أن والدي لا يريد الزواج حقًا، بل هو بيتفشش كما يقال؛ لأنهم عرضوا عليه عدة أسماء من بلدي ومن غيرها، ولكن شرطُه كانت تعجيزية وهي: أولًا: أن تكون يتيمة الوالدين، قلنا هذا شرط ربما يتوفر، ثانيًا: أن يكون عمرها في الخمسينات قلنا أيضًا يمكن توفر هذا الشرط، أن لا تكون قد تزوجت أي غير مطلقة ولا أرملة حتى هذا الشرط وما قبله جميعًا يمكن توفرها بواحدة، أو أنها وحيدة أهلها، لقد احتار إخوتي مع هذا الشرط، ووافقتهم الرأي أن الوالد يعيش حالة حزن ووحشة بغياب الوالدة رحمها الله.

عرس الشهادة، والشهيد محمد شفيعي

المجاهدة مريم فرحات (رحمها الله)
في وداع ابنها الشهيد المجاهد محمد.

عرس الشهادة، والشهيد محمد شفيعي

الشهيد محمد فرحات هو ابن الحاجة مريم فرحات، وأخو الشهيد نضال فرحات، والشهيد رواء فرحات، وأخو زوجة الشهيد عماد صرصور، وأخ الجريحين وثلاثة أسرى، وابن الجريحة أم نضال.

قصتي معهم أني التقيتهم في سجن عسقلان (نضال وحسام ووسام)، وعشت معهم في غرفة واحدة وتميزت علاقتي بهم إلى درجة الإخوة والمحبة والصداقة، وكانوا يعتبرونني أخاهم الكبير، أنت أخونا الكبير كانوا يخاطبونني، كنا نتشارك الطعام معًا، ولم أفارقهم إلا بعد نقلهم إلى سجن نفحة، ثم توثقت علاقتي مع جميع الأهل وخاصة مع الوالدة الحاجة أم نضال بعد خروج نضال وحسام من السجن وبقاء وسام حتى أنهى مدة محكوميته أحد عشر عامًا والتي لم تره الحاجة خلالها؛ لأنها ممنوعة أمنيًا من الاحتلال، وكنت دائمًا أتصل وأتشرف بالحديث مع الحاجة أم نضال ووسام وحسام، وأحاديثهم للأهل الكرام عن أخوَّتي وصداقتي التي تشرفت بها مع هذه العائلة الكريمة.

هذه هي الحاجة مريم الفلسطينية، أليست مريم الفلسطينية هي أم المسيح عليها السلام؟ أو ليست مريم فرحات هي مريم الفلسطينية؟ أو ليست والدتي هي مريم الفلسطينية؟ أو ليست كل أم شهيد وجريح وأسير

لأجل فلسطين هي مريم الفلسطينية؟ أليس العدو هو نفس العدو الذي تعدى وافترى ظلمًا وجورًا على شرف وسمعة مريم أم المسيح، هو نفس العدو الذي حاول قتل المسيح عليه السلام؟ أليس هو العدو الذي قتل الشهداء وما زال يقتل، أليس هو العدو الذي قتل وظلم أمي ومريم وأولادها وكل أم شهيد فلسطيني.

لقد أصيبت الحاجة مريم كما أصيبت أمي، وكل أم شهيد، كما كانت تحبني كأحد أبنائها، ولم تنادني يومًا إلا «يمة.. ويا حبيبي يمة»، وأقول مرة أخرى أنني أحببتها كما أحببت أمي، وأدعو لها كل يوم كلما دعوت لأمي ولا أغفل ولن أغفل يومًا إن شاء الله عن الدعاء لأمي ولأمي مريم.

أما يوم عرس الشهيد محمد فأحدثكم بها كما حصل وبكل صدق وأمانة وهي: كما قلت من قبل كنت دائم الاتصال بالحاجة مريم وأولادها نضال وحسام، وفي ذلك اليوم اتصلت وتحدثت معهم وسمعت صوت أهازيج الفرح وضجة كبيرة في البيت، فسألت ماذا عندكم؟ قال: عندنا عرس، وبكل بساطة وتسليم اعتقدت أنه زواج لأحد أفراد الأسرة، فاطمأننت عليهم وعلى أخبارهم وسلمت عليهم وودّعتهم، وبعد أيام قليلة بينما كنت أسمع إلى نشرة الأخبار والتي كانت منتصف الليل، وإذ بمذيع الأخبار يتحدث عن عملية ضخمة بطولية ينفذها شاب في أول عمره حوالي سبعة عشر عامًا، وكانت نتيجة العملية بين سبعة وثمانية قتلي من قوات النخبة المظليين، الشاب محمد فرحات الذي لم أنل شرف رؤيته من قبل ولا صورته، ولم أتحدث معه إلا أنني في تلك الليلة لم أتمالك نفسي وفاضت عيناي بالدموع والبكاء الشديد، قلت: ما أعظم هذه الأم! إنها مريم الفلسطينية.

في ذاك اليوم تواجد عندي في القسم شاب كان جارًا لهم بحي الشجاعية، واعتقدت أني سوف أجد صعوبة بالاتصال بالحاجة وأبنائها فطلبت من هذا الشاب أن يتصل بأهله ويوصل لأم نضال وأبنائها سلامي وتعازيَّ بالشهيد محمد، فكانت المفاجأة الكبرى والله من أمي مريم في صباح يوم الاستشهاد الساعة الثامنة صباحًا من ذلك الشاب بعد إيصاله سلامي للحاجة مريم أن قالت له: سلِّم على رائد وقل له فداك وفدا الشباب. ما أعظمك وأطهرك وأجلَّك يا أمي مريم، يا مريم الفلسطينية، بل أنا وروحي ودمي فداك وتحت أقدامك، فهل أغفل يومًا عن حبك والدعاء لك؟!

وبعد أيام تمكنت من الحديث مع الحاجة وأبنائها وبدأت بالعتاب لهم أنني اعتقدت حقًا أنه يوجد عرس عندكم، فعاتبتهم لِمَ لَمْ يعطني شرف الحديث والتسليم على محمد، وقلت لأخيه على الأقل كنت أوصيته لعله يشفع لي يوم القيامة، وكانت المفاجأة لي وحسرتي، وحسرتي أشد أنني لم أودعه، فأخبرني أنهم قد أوصوه عليّ بالشفاعة لي، وقال لي لا تخف أوصيناه ومحسوب حسابك بالشفاعة إن شاء الله، فسألته ما الذي حصل؟ أسمعوا رده، قال: يوم العرس كان عرسًا حقيقيًا لمحمد في المنزل، اجتمعنا جميعًا وقمنا بالغناء والفرح كما يُفعل للعرس حقًا، ويوم الوداع قمنا بتوديعه على أمل تحقيق استشهاده وعودته شهيدًا، وجلسنا ننتظر ونترقب بكل قلق متخوفين فقط أن تفشل العملية ويتم أسره، ولكن عندما سمعنا خبر نجاح العملية وخبر استشهاد محمد بدأنا بالتكبير فرحًا ونعانق ونهنئ بعضنا البعض، وعمت البهجة والفرح والسرور جميع الأهل، سلامٌ

وحب لكم مني أهل البيت.

وفي تلك الأيام وفي اتصال مع حسام، قلت له: يا حسام والله لقد رأيت محمد في المنام، ولم أكن قد رأيته من قبل، وعندما نُشرت صورته كانت كما رأيت، ورأيته مع مجموعة من الشباب ذاهبًا في نزهة، وكان مسرورًا جدًا وهو يبتسم ويقف إلى جانب هاتف عمومي ويتحدث، وسألته: إلى أين يا محمد؟ قال لي: أنا في رحلة وأبلغ والدتي بأنني سعيد، وقد أنفقت المائتي شيقل التي معي وهو يبتسم. وبحديثي مع حسام، قال: سبحان الله! هذا ما كان بحوزته من ذخيرة رصاص.

الحاجة مريم ورئيس الجمهورية المصرية، د. محمد مرسي

المجاهدة مريم فرحات (رحمها الله)
خلال جولة تفقدية لها على المرابطين.

الحاجة مريم ورئيس الجمهورية المصرية، د. محمد مرسي

في تلك الأيام كنت في سجن إيشل (بئر السبع)، يوم أن عادت الحاجة مريم من مصر بعد فترة علاج قضتها في المشفى، تحدثت معها وهنأتها بالسلامة، واطمأننت على صحتها واستبشرنا خيرًا بذلك مع خوفنا الشديد عليها إلا أنها وكعادتها دائمًا راضية ومسلِّمة الأمر لصاحب الأمر _سبحانه وتعالى_، بل إنها ترفع من معنوياتنا وتصِّبرنا وهي دائمة الدعاء والاستبشار واليقين والتسليم لله، وهي المؤمنة الصادقة الراضية. بعد ذلك تحدثت مع ابنها حسام وهو الآخر كبقية العائلة كانوا قلقين على صحة الحاجة وحالة الخطر التي تعاني منها، هي فترة زمنية قصيرة ورحلت الحاجة أم نضال من دار الدنيا إلى دار الآخرة ودار البقاء حتى تلقى الله راضية إن شاء الله، شفعاؤها بعد الرسول ﷺ ثلاثة من أبنائها الشهداء.

وبعد حديثه وتعبيره عن قلقه، قال لي حسام: الليلة سوف يتصل الدكتور محمد مرسي رئيس الجمهورية وعائلته مع الوالدة؛ لتهنئتها بالسلامة والاطمئنان عليها لعدم تمكنهم من زيارتها أثناء العلاج في مصر بسبب ظروف عمله وجدول أوقاته كرئيس جمهورية، وكان الموعد الساعة العاشرة أو الحادية عشرة ليلًا كما أبلغوهم من مكتب رئيس الجمهورية، يومها سألني هل تحب أن نوصلك بالاتصال والحديث مع الرئيس، فقلت

لـه: أبلـغ الرئيـس سـلاماتي، وشـكرته وقلـت لـه: لا داعـي أن نتسـبب بوجـع رأس زيـادة للرئيـس، فربـما بعـد هـذه المكالمـة يتعاملـون معهـا كممسـك ضـد الرئيـس بأنـه يتحـدث ويتواصـل مـع أسرى فلسـطينيين «إرهابيـين»، يكفيـه وجـع رأس.

وفي اليـوم الثـاني لاتصـالي مـع حسـام والاطمئنـان عـلى صحـة الحاجـة أم نضـال، أخـبرني أن الرئيـس لم يتصـل مسـاء بـل اتصـل وقـت صـلاة الفجـر، واعتـذر الرئيـس وزوجتـه؛ لأن الرئيـس تأخـر أمـس في اجتماعاتـه الليليـة إلى مـا بعـد السـاعة الواحـدة صباحًـا، ولم يرغـب بالاتصـال وقتهـا كـي لا يسـبب إزعـاج للحاجـة والأهـل في ذلـك الوقـت المتأخـر، ولكنـه قـال إنـه يعلـم علـم اليقـين أننـا سنسـتيقظ لصـلاة الفجـر، لذلـك اتصـل بهـذا الوقـت، واعتـذر عـن عـدم اتصالـه بالمسـاء لظـروف العمـل القاهـرة، وهنـأ بسـلامة الحاجـة، واطمأن عـلى صحتهـا وكذلـك فعلـت زوجتـه، رحمهـما الله جميعًـا.

رأفت يحدثني كأن شيئًا بداخلي قد كُسر

الأسير المحرر د. رأفت حمدونة رفيق درب للأسير المجاهد رائد السعدي.

رأفت يحدثني كأن شيئًا بداخلي قد كُسر

د. رأفت حمدونة (أبو خليل) صديق لي ورفيقي في النضال والأسر، تعرفت عليه سنة 1999 م عند نقلي من سجن عسقلان، وتوثقت علاقتي به حتى أُفرج عنه، وبعد الإفراج أتواصل معه هاتفيًا، وهو على تواصل مع والدي وأهلي، وأنا فخور وسعيد بهذه الصداقة، وهي مكسب لي لما يتصف به رأفت من صدق ووفاء وحسن خلق. في سيرتنا النضالية تنقلنا من سجن لآخر، ولحسن حظي أنني التقيته في أكثر من سجن وتشاركنا حياة الأسر وعذاباته، ومن هذا الموقع عشت مع رأفت في سجن بئر السبع وإيشل. رأفت رجل طموح وعصامي بكل شيء وخاصة في التعليم وقد أنهى دراسته الجامعية بالجامعة العبرية المفتوحة _كانت إدارة السجون قد رفضت طلب انتسابي للجامعة مرتين_، وفي الغرفة التي كنت أعيش فيها برفقة رأفت وبعض الإخوة استيقظ رأفت باكرًا وبدأ بدارسته المكثفة وخاصة في فترة الامتحانات، بعض هذه المواد كانت صعبة وتحتاج لجهد واجتهاد، ورأفت أهل لذلك، وأنا أستيقظ لأعد نفسي لممارسة الرياضة وغالبية الإخوة في فراشهم حيث كان فصل الشتاء والجو ماطر وبارد، هذا لم يكن يثني رأفت عن دراسته ولا يعيق خروجي للساحة وإن كنت في بئر السبع، وما ساعد على ذلك أن الساحة كانت مغلقة ولم تصلنا الأمطار، قبل

خروجي كنت أجهز بعض حبات البطاطا والبنجر وأضعها على البلاطة حتى أعود وتكون قد نضجت؛ لتناولها بعد الرياضة وتقديم وجبة ساخنة لصديقي رأفت الذي يسر لذلك، ولأدبه يعبر لي عن شكره وحرجه؛ لأنه لا وقت لديه ليقوم هو بالتحضير، وأرد عليه أن لا تقلق فالمهم أن تنجز دراستك ونجاحك هو نجاح لي، وأنا أعرف أنك لا تقصر، والمهم أن لا تجهز لنا قلاية بندورة كالتي أعددتها لنا قبل أيام، وما فعله الدكتور رأفت أنه قطَّع ثلاث حبات بندورة وسبعة قرون من الفلفل الحار جدًا، وبما أن الغرفة مغلقة ولا يوجد بها سوى شباك واحد مغلق أيضًا فما حدث أن الغاز المتطاير من الفلفل ملأ جو الغرفة وأثر على الجميع، أما أنا فتلحفت بكل ما عندي من أغطية، ومع ذلك لم يشفع لي ذلك من دموع وقحة وعطاس واحمرار العيون ود. رأفت يضحك على كل من في الغرفة، قلت له: يا أبو خليل قلاية بندورة، قل يا رجال قلاية فلفل عليها بندورة! وبعدها افترقنا لسجون أخرى، ثم التقيته للمرة الأخيرة في سنة 2004م في أيام عصيبة وهي أيام إضراب عن الطعام، إلا أنه كان هناك متسع من الأمل حيث قدم في تلك الفترة بحث التخرج من الجامعة وهو يشاركنا نفس الغرفة، واحتفلنا بهذا التخرج مع زميل ثالث وهو الأسير أمجد العبيدي (أبو زيد)، وكانت حقًا سعادة، وقدم رأفت لكل واحد منا علبة تونة.

في تلك الأيام عشت أنا ورأفت فترة صعبة جدًا كانت أصعب من أيام الإضراب عن الطعام والذي استمر ثمانية عشر يومًا، وتلك أيام صعبة قد تأذى منها رأفت، ولكنها لم تكن بحجم الأذى النفسي الذي عشناه وذلك في سجن هداريم حيث كان سجن الأسيرات قريبًا لقسمنا ولا يفصلنا

سوى عدة أمتار وباستطاعتنا الحديث مع بعضنا البعض، وبعد الإضراب وفي أحد الأيام بدأنا نسمع أصوات طرق على الأبواب والشبابيك والتكبير والصراخ من قسم الأسيرات وهن يطلبن مساعدتنا، وأنهن يتعرضن للتنكيل والضرب والإهانة، ذلك يعني التفتيش والقمع للقسم، إدارة السجن تعلن الاستنفار العام وتشعل صفارات الإنذار بالسجن وجميع الأقسام، ثم تغلق الأقفال على الأبواب، والأخوات الأسيرات في صراخ ومناشدة لنا لمساعدتهن ونصرتهن، وأنا ورأفت كنا في غرفة صغيرة كباقي الأقسام، نحن لا نستطيع فعل أي شيء، والصراخ والمناشدة ترتفع، ورغم الألم الذي يعتصر قلوبنا إلا أننا وقفنا حائرين ولا نملك من الأمر شيئًا، ووالله لو تستغيث بي يهودية لأغيثها، فكيف بأخوات لنا؟! جلس رأفت على سريره وأنا مقابله، صمت عمَّ الغرفة لا نتحدث بشيء، وقفنا عاجزين عن نصرتهن، لا ينظر أحدنا للآخر، وكأننا بدأنا نخجل أحدنا من الآخر، دمعت عيناي حقًا؛ لأني عجزت أمام هذه الفاجعة ولم أنظر لعيني رأفت كما قلت، وربما هو شاركني تلك الدموع، وحقًا إننا كنا نخجل الواحد من الآخر، كل واحد منا قام لصلاة الظهر وأداها وحده رغم أننا في نفس الغرفة، وبعد أن انتهت الأمور وبعد وقت طويل من الصمت كسر رأفت هذا الصمت، قال لي: تعلم يا رائد أشعر أن شيئًا بداخلنا قد كُسر، وافقته الرأي، وعدنا نلملم جرحنا وألمنا وعجزنا، تابع الأسرى وممثلوهم التدخل والحديث مع إدارة السجن والتواصل مع الأخوات الأسيرات، وهدأت الأحداث وعادت حياة الأسر تسير بعذاباتها، واستمرت حالة شعورية صعبة معي لعدة شهور، وكلما سمعت أي صوت أو حركة أسرع إلى نافذة

الغرفة لأسمع ما يحدث، وكان يخيل لي أنها أصوات الأخوات الأسيرات، وكان رأفت يهدئ من روعي وحزني ويصبِّر نفسه، ولله الحمد بعد عدة شهور يمكن القول إن حياتنا عادت لما كانت عليه وحظيت برفقة رأفت فترة من الزمن بحلوها ومرها، وآخرها كانت بعد هذه الحادثة وقدوم شهر رمضان المبارك الذي صمناه سويًا، وتابعنا مسلسل التغريبة الفلسطينية بكل حلقاته، وعشنا ألم التغريبة والتهجير مختلطًا بألم السجن وعذابه إلا أنني كنت كل ليلة أقوم بإعداد كأسين من الشاي بالميرمية لي ولرأفت.

في أيام الإضراب عن الطعام، وما أصعبها من أيام وهي خطوة يقدم عليها الأسرى لتحقيق بعض المطالب المرتبطة بحقوقهم إلا أن ذلك الإضراب لم يحالفه النجاح ولم يتم تحقيق أي مطالب كالإضرابات السابقة وخاصة إضراب عام 1992م الذي أُعدَّ له جيدًا كونه كان شاملًا ويعم جميع السجون حيث بدأ بيوم واحد ومطالب موحدة وبقيادة واحدة وممثل واحد لكل سجن، هذا ما أرغم وزير شرطة الاحتلال وقتها على القدوم لسجن جنيد والتفاوض مع الأسرى كون السجون وقتها كانت تقع تحت صلاحياته، أما هذا الإضراب فلم يُعد له جيدًا، بداية كان التوقيت خاطئًا؛ لأنه في تلك الفترة كان شارون وقوات إجرامه يقتلون خمسة عشر فلسطينيًا في خانيونس باليوم الواحد، ولا تجد من ينكر عليه ذلك، فكيف بإضراب أسرى؟! من سيساندهم في هذا الإضراب؟ علمًا أن الدعم الشعبي في الخارج أساسي في هذه الإضرابات. لم أكن أنوي المشاركة به شخصيًا وذلك أولًا لقناعتي الشخصية أن التوقيت غير مناسب، وثانيًا لوضعي الصحي الخاص، ومع ذلك شاركت فيه من أول يوم حتى نهايته

بصفة تضامن مع المضربين، في البداية كان القرار أن يتم تقديم السوائل من حليب وعصير للمضربين، وكان هذا مطلب الأسرى إلا أن إدارة السجون رفضت ذلك، واعتبرت أن ذلك يطيل عمر الإضراب ويمكِّن الأسرى من الصمود والاستمرار وتحقيق مطالبهم دون أن يشكل خطرًا على حياتهم، ولكن بعد رفض الإدارة تقديم السوائل للأسرى أبلغتهم أنني من البداية غير مضرب، ولكنني الآن مضرب تضامنًا مع المضربين لعدم إعطائهم السوائل، عندها عرضوا عليَّ تناول حليب أو عصير رفضت ذلك وأبلغتهم ما دام الأسرى لا يتناولون السوائل فلن أتناولها، قالوا أنت مريض وباستطاعتك أن تتناول السوائل حتى لو كنت مضربًا، أبلغتهم أنني لن أشرب الحليب ولا العصير؛ لأن طبيب السجن أبلغني أن الحليب والعصير طعام وهو يكسر الإضراب، والذي يُعد سوائل ولا يكسر الإضراب هو المحلول الطبي فقط.

في تلك الأيام ساءت حالتي الصحية، وبدأ الأسرى يقلقون عليّ وعلى حياتي وخاصة في القسم الذي كنت فيه، ووصل الحال ببعضهم أن عاتبني لدخول الإضراب، وطبعًا عتب المحبة والخوف على صحتي وحياتي إلا أنني واصلت الإضراب حتى النهاية رغم كل محاولات طبيب السجن التأثير على إرادتي وتحذيري بأن وضعي الصحي لا يحتمل، ولله الحمد كانت الإرادة أقوى من جسدي. وتلك الأيام كنت في نفس الغرفة مع الإخوة رأفت حمدونة وأمجد العبيدي وشباب من طولكرم، ورغم الأوقات الصعبة إلا أنه تخللها مزاح كثير مع رأفت من جهة ومع أبو زيد الذي لم يترك نوع طعام لم يحدثنا عنه، وفي تلك الأيام كان يتم بث مسلسل

سوري بطولة الأستاذ خالد تاجة وهو متزوج من أربع نساء، وكل واحدة أجمل من الأخرى، واحدة تركية وأخرى سورية والثالثة لبنانية والرابعة عراقية، في كل حلقة وكل يوم خالد تاجة عند واحدة منهن، ويتم تقديم طاولة من أطيب الطعام السوري من الكبة وغيرها من أشهى الحلويات، قلت لأبو زيد ورأفت انظر إلى خالد تاجة الله لا يوفقه أربع نساء من أجمل النساء ومن كل الجنسيات ومن أشهى الطعام وأنا مضرب أتضور جوعًا، ما الذي فعلته يا ربي حتى أعاقب هذا العقاب، ويقابلني أبو زيد أتصبح به وأتمسى به بلحيته الكثيفة، ثم أتصبح بأبو المثنى يمر علينا من غرفته وهو ذاهب للحمام بشعره الطويل ولحيته يشبه سكان الكهف والجبال، يمر علينا يصرخ ممازحًا لأبو زيد أين هو هذا الراعي؟ وينكم كيف حالكم؟ وبلهجة قرى رام الله. ننهي متابعة المسلسل، ويعود أبو زيد ليحدثنا عن أطباق الطعام التي كانت تقدم في إحدى فنادق الناصرة التي عمل بها، والحقيقة أن حديثي عن الأستاذ خالد تاجة ما كان إلا في سبيل المزاح والتسلية ولا يوجد بنفسي إلا كل والحب والاحترام له ولما قدمه من فن وخاصة في التغريبة الفلسطينية، فيوم بكائه في التغريبة أبكاني رحمه الله، وبعد هذه الفترة افترقنا كل واحد منا لسجن.

أُفرج عن رأفت وأكمل دراسته الجامعية وحصل على درجة الدكتوراه التي يستحق، وتزوج ورزق بأطفال وهو الآن يعيش مع أهله ومحبيه، وفي هذه السنة (2020م) فَقد والده في شهر رمضان، قدمنا له التعازي أنا وأهلي مع دعائي له بوافر الصحة والعافية.

فراق طارق

الأسير المجاهد أحمد السكني (أبو طارق) برفقة والدته خلال زيارتها له في السجن.

فراق طارق

إن من أصعب الأوقات على الإنسان هي لحظة الفراق وما أصعبها وأقساها على الأسير، عندما يفقد حبيبًا فكيف به وهو يفقد الأغلى والأعز والأكثر حبًا؟! ومن أصعب هذه الأيام كانت فقداني لوالدتي وأخي رحمهما الله. وحياة الأسير مليئة بالمصاعب والمآسي ومن أصعبها عليَّ بعد تجربة الفقدان كانت مشاركتي لبعض الإخوة مآسيهم ومصائبهم، ومن أعظمها وأقساها كانت يوم فراق طارق.

طارق أحمد السكني هو وحيد والديه، بعد قدوم طارق إلى هذه الدنيا أُسر والده على أثر مشاركته بمقاومة الاحتلال وحكم عليه 27 عامًا. التقيت بوالده بأول أيام اعتقاله، وهو أخ وصديق عشنا في غرفة واحدة، ومنذ الأيام الأولى لاعتقاله كان دائم الحديث عن طارق وحبه له ولعائلته، كانت حياته كلها فقط من أجل طارق وأمه، وكانا هما الأمل في هذه الحياة بل هما كل حياته، وكذلك كانت أم طارق حيث كرَّست كل حياتها لاحتضان طارق وتربيته خارج السجن وبالاهتمام بأبي طارق وشئونه داخل السجن على أمل أن يتحرر ويلملم شملها ويحتضننا طارق معًا إلا أن إرادة الله أرادت غير ذلك، وهم ونحن راضون بقدر الله سبحانه وتعالى دائمًا.

بدأت الحادثة يوم أن انتقلت في بداية سنة 2013م من سجن إيشل (بئر السبع) إلى سجن نفحة على أثر احتجاجات وتصعيد حصل في القسم على أثر استشهاد الأسير ميسرة أبو حمدية. عند دخولي إلى نفحة بقيت ليلة واحدة في إحدى الغرف، وفي اليوم التالي انتقلت للعيش في الغرفة التي يعيش فيها صديقي أبو طارق بعد افتراقنا سنوات، رحب بنا أبو طارق كعادته، جلسنا وتحدثنا عن هذه السنين التي مرت ولم نلتقِ فيها، جلست إلى جانب سريره، فأحضر أبو طارق آخر مجموعة من الصور التي وصلته من الأهل وخاصة صور طارق الأخيرة والتي كانت قد انقطعت عنه منذ فترة زمنية، ومع العلم أن زوجته أم طارق لم تكن قد زارته طوال الأحد عشر عامًا التي مضت على اعتقاله؛ لأنها تحمل الجنسية الأردنية وهي موجودة في غزة بتصريح زيارة لغزة فقط. المهم في الأمر أن أبو طارق كان دائم الشوق لطارق، وكيف أنه أصبح اليوم ابن الثانية أو الثالثة عشرة وأنه يحمل مسؤولية البيت ومسؤولية أمه، وأنه رجل البيت كما نقول، وكما كانت تعده وتربيه والدته وبتوجيه من الوالد، وأخبرني أنهم يقومون بتجهيز الشقة الجديدة التي سينتقلون إليها بعد كل هذه السنين في بيت أهل زوجته، يطلعني أبو طارق خلال حديثه على صورة جديدة وهو مرح جدًا بها، صورة لطارق يقف إلى جانب أمه ويقول لي انظر أصبح شابًا يافعًا، انظر إليه إنه بطول والدته ما شاء الله يقف إلى جانبها وهو بمستوى أمه.

شاركته تلك اللحظات السعيدة، وتمنيت له كل خير وأن يجمعه الله بهما، ما أروع وأسعد تلك اللحظات في حينها إلا أنها لم تدم طويلًا، هي

أيام معدودة وكانت الفاجعة التي وقعت على رؤوسنا جميعًا، وعلى العادة في التوقيت والعدد، شباب وجوههم لا تبشر بخير، وجوه تكسوها الرهبة والحزن الشديد، لكن لا مفر أمامهم إلا أن يبلغوه بالخبر الصاعق، جلسوا حول أبو طارق وأبلغوه أن حادث سير قد وقع وأن طارق نقل للمستشفى للعلاج، يريدون تخفيف وقع الصدمة عليه، وأنهم بجهاز مهرب يتواصلون مع غزة للاطمئنان عليه، ما هي إلا لحظات بسيطة حتى تم تأكيد خبر وفاته رحمه الله، أي مصيبة وحزن هذا الذي وقع على أبو طارق، لقد عم الحزن والبكاء جميع من تواجد في الغرفة، لا بل القسم والسجن والسجون كافة يبكون طارق لبكاء أبيه، لا يوجد ما نقوله أو نعزي به والده بل أصبحنا جميعًا بحاجة لمن يعزينا ويهون علينا هذا المصاب. أيام عديدة ونحن على هذا الحال نلازم أبو طارق، مواسين له ولأنفسنا بهذا المصاب، بقيت أشهر على أبو طارق وهو يبكي طارق ليل نهار، ولم تعد حياته كما كانت، وضاع الأمل الذي كان يرجوه وينتظره ساعة بساعة، لكن رحمة الله أوسع ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾ [الزمر: 10].

وفي تلك الفترة وعلى إثر هذه الحادثة المأساوية تم الحديث مع السلطة الفلسطينية والحديث مع إدارة سجون حيث تم استصدار تصريح خاص لزوجته لزيارة أبو طارق، هي زيارة حزن وبكاء والديه وتصبير كل منهما للآخر واحتسابه عند الله سبحانه، وبعد سنة أو سنتين من حادثة الوفاة قرر الوالدان المكلومان إنجاب طفل جديد، وفعلًا بعد أن تمكن أبو طارق من تهريب نطف مع والدته عبر زيارة الأهل قدَّر الله أن يرزقا بطفلين (ذكر وأنثى) توأمين، التقيته بعدها في سنة 2017م في سجن

رامون، وفي الغرفة التي عشنا بها أحضر لي صورتهما، وكان شديد السعادة بهما، كم هما جميلان وأن الطفل يشبه أخاه طارق رحمه الله. سألت أبو طارق: ماذا أسميتهما؟ أخبرني باسم الطفلة ثم باسم الطفل، وفاجأني أنه لم يسمه طارق، قال لي: لا يوجد إلا طارق واحد، ولن يكون هذا الاسم لغيره، ولا شيء يعوض أو يمكن أن يأخذ مكان طارق مع حبي الكبير لهذين الطفلين، لكن مثل طارق لا أحد.

كرامتك، أو غضبي عليك!

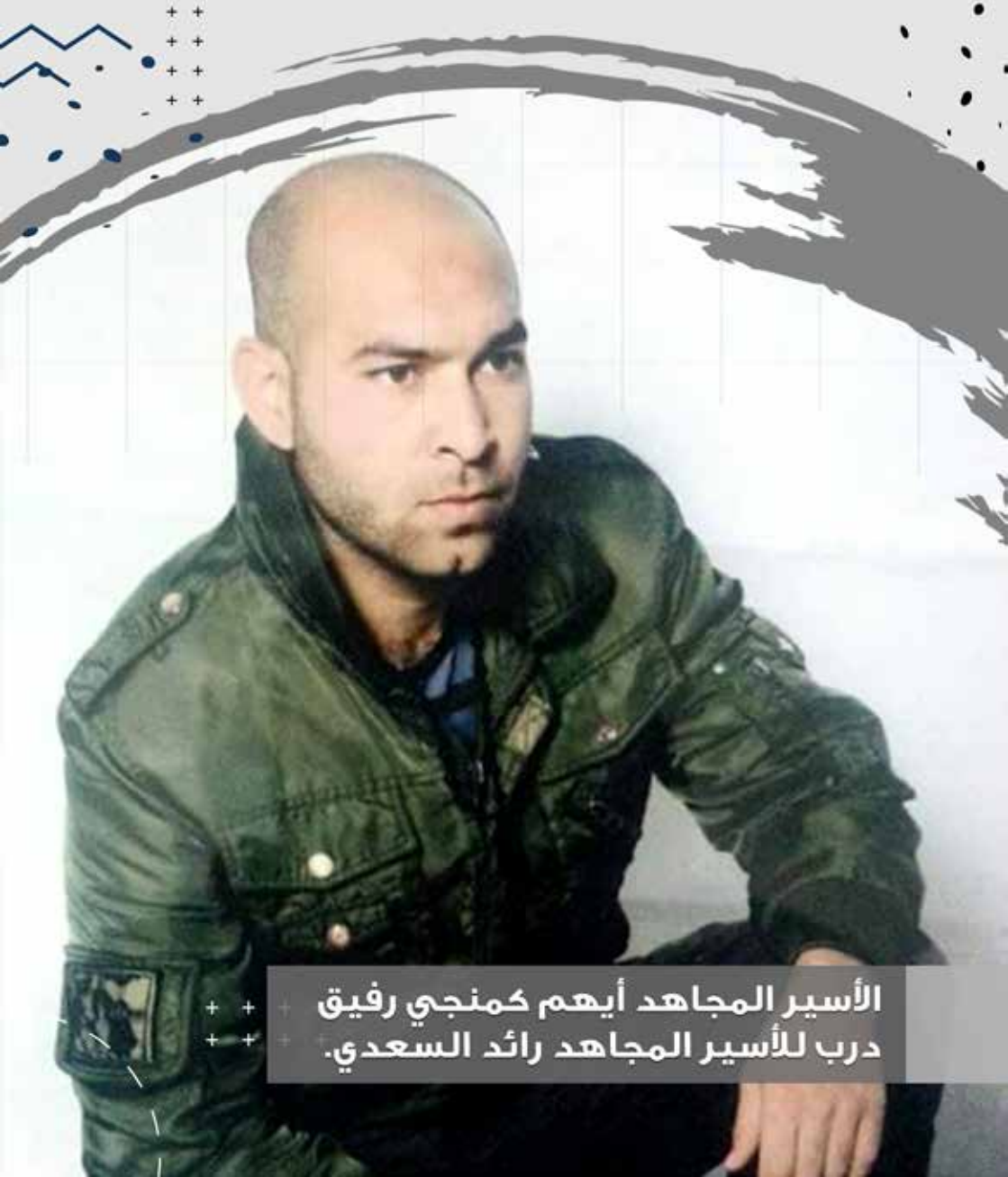

الأسير المجاهد أيهم كمنجي رفيق درب للأسير المجاهد رائد السعدي.

كرامتك، أو غضبي عليك!

هو يوم من أيام الحزن الفلسطيني، بل أعظم أحزانه وأصعب أيامه، كيف لا وهو يفقد أعظم مخلوق وأحب الناس وأرحمهم وأحنهم وأعظم الناس عطاء ووفاء وفداء وإيثارًا، وهل هناك أكرم وأعز من الأم؟! وهل يوجد حزن ومصيبة أعظم وأكبر من مصيبة فقدان الأم؟! وما أعظمها وأكبرها من مصيبة على نفس الأسير الذي حرم أمه وحنانها وهو في الأسر! ومن يكتب هذه السطور حول هذه الحادثة فقد ذاق حرارة ألمها واكتوى بنارها، هو يوم عزاء نقدمه لأسير آخر يفقد والدته، ولكن خصوصية هذه القصة التي أرويها في سيرة حياتي وكتابي أنني أعيش مع أبنائها ومشاركتهم العزاء، وسمعت منهم ما رووه عن حادثة وفاة المرحومة مريم، لا بل عن قتلها حزنًا وألمًا على أبنائها؛ لأنها مريم الفلسطينية.

كان يوم حزن كبير يوم أن ذهبت لما تسمى المحكمة العسكرية لحضور محاكمة ابنها الأصغر الذي حكم عليه بالسجن 44 شهرًا، ولكن قبلها كانوا قد حرموها من ابنها الأكبر عندما حكموا عليه بالسجن مدى الحياة، بحكم الأول أورثوها مرض السكري حزنًا وألمًا على ابنها البكر، يوم أبلغت بخير استشهاده بعد استشهاد رفيقه معه حيث جاءها والده وجدته معبرين لها أن احتسبيه شهيدًا عند ربه. قبل أن يتبين لهما أنه جريح،

ثم قتلوها حزنًا على ابنها الأصغر ولم تتحمل هذا الفقدان وأصيبت بجلطة لم تسلم منها، كيف لا وقد لاقت ما لاقته من ألم وحزن وعذاب على ابنها البكر، ثم ما لاقته من تنكيل وظلم وحرمان من الاحتلال، ومن ألوان هذا التنكيل حرمانها من زيارة أبنائها، يخبرني أحدهم أن قوات الاحتلال بعد أن اتخذت قرارها الظالم بمنعها وحرمانها من زيارتنا عادوا وقالوا إنهم سيسمحون لها بزيارة ابنها الأصغر، ولكن بعد معاناة السفر وقدومها للزيارة عادوا ومنعوها من الدخول للسجن للزيارة، وأعادوها مكسورة الخاطر فاقدة القوى وحزينة، ومن لم يعش تلك اللحظات لا يمكنه معرفه حجم الأسى والحزن والألم، الأم تُمنع من زيارة ابنها كيف وإن كان اثنين؟! يقول ابنها بعد أن توفرت لي وسيلة اتصال بجهاز مهرب للسجن تحدثت مع والدتي وأخبرتني أنهم أعادوها، وأبلغوها أنه مطلوب من ابنها أن يقدم طلب إلغاء العقوبة حتى تتمكن من زيارته، وبكل بساطة الحاجة مريم في بداية الأمر تطلب من ولدها أن يتقدم بهذا الطلب حتى تتمكن من زيارته؛ لعلها تطفئ ظمأ شوقها وحنينها لولديها، قلت لوالدتي سوف أفعل يا والدتي إكرامًا لك، ولكن هل تعرفين ماهية هذا الطلب؟ قلت لها: يا والدتي هذا يسمونه عفوًا واسترحامًا من هؤلاء الظلام. يقول لي كان رد والدتي رحمها الله قاطعًا ومزلزلًا وبدون تردد ولا يقبل أي تفسير آخر فقط هي كلمة واحدة: باغضب عليك إن فعلت ذلك! أي أم هذه، وأي عظمة نفسية وكرامة وإباء، هذه الأم التي تذوب ألمًا وشوقًا لرؤية فلذة كبدها إلا أن كرامتها وكرامة ابنها وعزتها أكبر وأعظم من شوقها وحنينها لهما، إنها الحاجة مريم، إنها مريم الفلسطينية.

يحدثني ابنها في تلك الأيام: رأيت في منامي أن موج البحر يداهمني أنا وأخي، ولكن والدتي تقف أمامنا ترفع الموج عنا وتحمينا بنفسها، هي أيام وحضرت والدتي لما تسمى المحكمة العسكرية في سالم، صدر حكم بحق أخي الأصغر عندها انهارت قوى والدتي، وأصيبت بجلطة نقلت على إثرها للمستشفى في جنين، ثم أصيبت بثانية وثالثة بشكل متوالٍ في داخل المشفى توفيت على إثرها، وفي يوم الوفاة كان والدي مرافقًا لها ولم يفارقها إلا لحاجاته حينها.

يستكمل الأخ الأسير قائلًا: والدي يقول لوالدتي إنه يريد الذهاب للمنزل لبعض الوقت ولصلاة العشاء ثم يعود، قالت له الحاجة مريم: لا تتأخر عليَّ يا فؤاد، رد عليها قائلًا: وهل تأخرت عليك يومًا؟ إن شاء الله سأصلي العشاء وأعود. هي نصف ساعة وصل الوالد إلى البيت وإذا بالاتصالات من المشفى احضر فورًا، قال بعد أن غادرت المشفى، والحاجة في سريرها تيممت للصلاة وأدت صلاة العشاء وهي نائمة على سريرها كما قالت الممرضة، ثم نامت الحاجة نومة هادئة لم تستيقظ بعدها. في ذاك اليوم أنا وأخي كنا نعيش بغرفة واحدة، حضر إلينا بعض الأصدقاء من القسم وجلسوا معنا يودون إخبارنا بالحدث المؤلم وهم في حالة تردد وحيرة؛ لأن من ينقل خبرًا كهذا تكون حالته أكثر ألمًا وصعوبة، فهمت أنه يوجد أمر محزن، وطلبت من الإخوة إخباري منْ مِن الأهل حصل له مكروه، والدي أم والدتي؟ تردد الأصدقاء، ثم أخبرونا بالفاجعة. عانقت أخي طويلًا مصبرًا له ولنفسي وحمدنا الله ورضينا رغم حجم المصيبة والفاجعة.

قاعدة العشق لفلسطين

الأسير المناضل علي القنيري برفقة
والدته خلال زيارتها له في السجن.

قاعدة العشق لفلسطين

أسس قواعد العشق الأربعين لابن الرومي والتي وصفها لسان شمس التبريزي في نهج المنتسب لرجال الطرق الصوفية، أما شمس فلسطين الحاجة أم محمد القنيري فوضعت قاعدة أساسية واحدة وشاملة لحب فلسطين ألا وهي: نحن نريد السلام «يـمّا» فليعيدوا ابني الذي قتلوه، ويخرجوا ابني وكافة الأسرى، سيحل السلام «يـمّا» ولا مش هيك «يـمّا»، كان حديث الحاجة أم محمد.

الحاجة أم محمد هي مريم الفلسطينية، هي الحاجة صاحبة الوجه الذي يشع نورًا كخيوط الشمس المشرقة، ابتسامتها الجميلة، ومهما أقل فشهادتي بهذه الحاجة منقوصة، وهي أعظم من أن أشهد أنا وغيري لهذه الحاجة ولم أشاهدها إلا لأوقات قصيرة عندما كانت تحضر لغرفة الزيارة؛ لزيارة ابنها في السجن، فقد كانت تملأ قاعة الزيارة بالحب والفرح والحنان، الأم لجميع الأسرى وهي تُصَر على أن تمر على جميع من في القاعة لتسلم عليهم وتعطيهم من حنانها وحبها وابتسامتها الجميلة للجميع، كانت تملأ القاعة طاقة إيجابية فور دخولها عند الأسرى، كيف لا وهي صاحبة هذا القلب الكبير وهذا الحب والحنان للجميع.

هذه الحاجة الثمانينية العمر لم تنكسر إرادتها عندما تم اعتقال ابنها أول مرة والحكم عليه مؤبدًا والذي تم خروجه من السجن في الانتفاضة الأولى ثم عودته لمقاومة الاحتلال في الانتفاضة الثانية والعودة مرة أخرى للسجن والحكم مدى الحياة، ثم استشهاد ابنها الآخر وبقيت صامدة لم تنحنِ قامتها أمام كل هذه الأفعال والأحوال والمصائب، وبعد أن أصابها مرض السرطان تحملت وصبرت بهمة عالية كقمم الجبال الشامخات على الآلام جراء إصابتها بالمرض كما صبرت أمام سرطان الاحتلال رغم وهن عظمها وشيبة رأسها، وقضت أمام التلفاز تبث لابنها الأسير ولكل أبنائها الأسرى صبرًا وجلدًا ومعنويات عظيمة، وهي تبث الأمل بأن فجر الحرية آت وقادم، وأنها على موعد وانتظار إذا أمهلها القدر لذلك.

ولكن القدر كان أقوى من وهن عظمها، ومن يقدر على الوقوف أمام عظمة القدر، بل لقد تلقته هذه الحاجة بنفس مؤمنه صابرة راضية.

جلست هذه الحاجة وهي تحمل بيدها علبة لبن لم تشربها، ونذرت على نفسها ألا تشربها حتى يعود ابنها من السجن ويسقيها إياها بيده أو أن يسكبها على قبرها بعد مماتها وخروجه من أسره؛ لأنه من أحضرها لها قبل اعتقاله، ويومها كانت قد خرجت إلى كرم زيتونها، وبعد عودتها لمنزلها وجدت أن ابنها قد أحضرها لها وغاب عنها، ووفاءً له رفضت كما ذكرت أن تتناولها إلا من يده يوم عودته، وانتظرته طويلًا ولم يعد حتى اليوم، وأوصت أن يسكبها بيده على قبرها وفاءً وحبًا لولدها.

فيا دعاة التطبيع والسلام والمقاومة، هذه قاعدة الحاجة أم محمد القنيري، وهذه هي مريم الفلسطينية فهل تحفظونها قاعدتها ووصيتها؟! وهل ستحققون لها بعضًا من أمنيتها بأن يسكب ابنها اللبن على قبرها وإن كنتم لا تحفظون قاعدتها، قاعدة العشق الفلسطيني.

أم أسرى الدوريات.. الحاجة يسرى المحروم

الأسير الرفيق سامر المحروم برفقة والدته خلال زيارتها له في السجن.

أم أسرى الدوريات.. الحاجة يسرى المحروم

أم أسرى الدوريات وأم الأسرى، بهذا الاسم تكنى وتعرف الحاجة يسرى المحروم، وأسرى الدوريات هم الأسرى الفلسطينيون والعرب الذين من خارج حدود فلسطين وقاموا بأعمال نضالية ضد الاحتلال.

الحاجة يسرى وغيرها من الأمهات الفلسطينيات كن يقمن بتبني هؤلاء الأسرى وزيارتهم وتوفير كل ما يحتاجون ومراسلة أهاليهم.

الحاجة يسرى تميزت بأنها كانت أم أسرى أيضًا، واحد من أبنائها هو الأسير سامر، كان محكومًا عالية بالمؤبد. هذه الحاجة كانت تمضي وقتها متنقلة بين السجون، نفحة وعسقلان وجنيد؛ لزيارة أبنائها أسرى الدوريات وزيارة ابنها سامر وبين المشاركة بكل الفعاليات المساندة والداعمة للأسرى، بل هي على رأس المشاركين لذلك، وإذا صادفت زيارة ابنها وأبنائها الأسرى كانت تقدم زيارة أبنائها من أسرى الدوريات البعيدين في السجون إلى نفحة وعسقلان، وترسل أبناءها لزيارة أخيهم في سجن جنيد في نابلس إلى حين تم نقل سامر إلى سجن عسقلان وانضمامه مع إخوانه من أسرى الدوريات وعند ذلك خف العبء على الحاجة وارتاحت قليلًا، واستمرت بالزيارة ولم تكن تخاطبهم إلا بأولادي وحديثها دائمًا مع سامر أيضًا عنهم فقط بصفة إخوانك، وحديثها دائمًا زرت أولادي أو سوف أذهب لزيارة أولادي.

التقيت في السجن بداية مع سامر في سجن جنيد المركزي، وكانت معظم زيارات الأهل في نفس اليوم وفوج الزيارة، وفي معظم الزيارات كانت تحضر الحاجة للزيارة، وكعادتها تسلم على جميع أبنائها الأسرى كما تحبهم، والجميع يبادلها المحبة والتقدير، ثم تم نقلنا إلى سجن عسقلان بعد قدوم السلطة الفلسطينية وإغلاق سجن جنيد وتسليمه للسلطة الفلسطينية، وفي فترة وجودنا في سجن عسقلان جاء خبر وفاة والد سامر، الحاج عصام المحروم، وقمنا بواجب العزاء، ولكن كان وقع الخبر على سامر صاعقًا وأليمًا ككل أسير يفقد والده أو أحد محبيه وأقاربه، ولكن الذي يميز سامر كثيرًا هو تعبيره عن مشاعره الكبيرة، ولا يترك الألم والحزن في قلبه فقط، بل تفيض عيناه دموعًا وبكاءً على من يحب بما تنفطر له القلوب والمشاعر، وهذا حق وهو شعور الظلم.

مرت السنين علينا في سجون الاحتلال حتى جاءت لحظة الإفراج عن سامر في صفقة التبادل عام 2011م، وخرج سامر من أسره والتقى مع الحاجة يسرى، وحدثني عن ذلك بما يلي:

سامر وهو في سن 19 خرج مع رفيقين له لتنفيذ عملية نضالية، قاموا بقتل مستوطن صهيوني في القدس واعتقلوا على أثرها، وحكموا لمدى الحياة. قال لي أرسلتني الحاجة يسرى حتى أحضر لها كيس طحين، خرجت من المنزل وذهبت للسوق؛ لأحضره لها ولم أعد لها إلا بعد 26 عامًا في الأسر، ولكن يوم عودتي رتبت الأمر مع إخوان وقاموا بإحضار كيس الطحين، ودخلت المنزل عند الحاجة ومعي كيس الطحين الذي قضى على ذهابي لإحضاره 26 عامًا.

قال لي: يوم الإفراج وقفت الحاجة يسرى فرحة مستبشرة مرتدية ثوبها الفلسطيني وعلى قمة درج المنزل كانت تستقبل ضيوفها شامخة رغم عذاب وتعب كل هذه السنين، دخلت وبيدي كيس الطحين وركعت على قدميها وقبلتهما وأنني قد عدت لك بعد كل هذه السنين، وأما ما أرسلتني من أجل إحضاره عدت وهو معي وإن كان متأخرًا 26 عامًا، احتضنت والدتي وعانقتها عناقًا طويلًا وجميلًا، أعادت لي كل مشاعر الدفء والحب والحنان، لم أفارقها لا بليل ولا بنهار، عدت للنوم في فراش والدتي وهي تحتضنني كطفل صغير يبحث عن حنان والدته، ضمتني ثانية إلى عطفها وحنانها الذي افتقدته كل هذه السنين، تشبثت بها معانقًا وكأني أبحث عن الأمان في أحضانها وهي ملجئي وحمايَ. بقيت على هذه الحال أيامًا وليالي من الفرح والسرور إلى أن تم زواجي واستقراري بالسكن في منزل والدتي، داعيًا الله أن يرزقني ذرية طيبة وتفرح بها والدتي التي كانت تتشوق لرؤية ذريتي، ولله الحمد رزقت بأول مولود، وتوفي ثم فقد الحمل الذي بعد. في تلك الفترة لم يرض الاحتلال أن أبقى إلى جوار والدتي وتبقى السعادة والأفراح في بيوتنا، عاد الاحتلال واعتقلني تعسفًا. وحتى كتابة هذا الكتاب ما زال الأسير في السجن منذ تاريخ 18/ 06/ 2014م، وغيبني مرة ثانية في ظلام سجنه وحرماني من والدتي وأهلي، ثم عادت الحاجة يسرى إلى إدراجها وإلى الدروب التي عرفتها، وأدمت قدميها وقلبها من سجن لآخر بحثًا وزيارة لفلذة كبدها، وكانت آخر زيارتها لسامر في سجن جلبوع يوم أن خرجت منه للزيارة وشاهدت الحاجة وقد أثقلها طول العمر والسنين والتنقل من سجن لآخر، وقد ظهرت عليها علامات

الشيخوخة إلا أن وجهها بقي مشرقًا كما كانت بنور الإيمان والحب الذي يملأ قلبها ولم تفارقه البسمة، وهي تمر مسلمة على كل أسير، ويومها عدت إلى القسم الذي أسكن وأخبرت سامر أن مظاهر الشيخوخة والكبر قد ظهر كثيرًا على الحاجة، قال: نعم، الوالدة تجاوزت السبعين من العمر وتجاوزت أكثر من 30 عامًا على عذابات السجون.

وبعد ذلك وبحديث جانبي أسررت لأحد الأصدقاء أن الحاجة تظهر عليها علامات الكبر وخوفي أن يحصل لها مكروه وسامر في السجن لا قدّر الله، ودعوت أن يتم تحريره من الأسر وعودته لوالدته وكل الأسرى وخاصة أنني أعلم جيدًا مدى محبة وتعلق سامر بوالدته، وحبها هي أيضًا لسامر، وكان دائم الحديث عن الحاجة وعن المواقف والأحاديث التي كانت تدور بينهم، قلت لذلك الصديق: إذا لا قدّر الله حصل للحاجة مكروه، أرجو أن لا أكون هنا؛ لأنني لا أحب ما سوف تكون حالة سامر، وخوفي عليه أشد؛ لأنه كما ذكرت كان أغلب حديثه عن الحاجة ومدى حبه وتعلقه بها مع أنه في مثل هذه المواقف والأحداث الواجب أن تكون قريبًا أكثر لصديقك حتى تهون عليه هذا المصاب وتشاركه أحزانه وتواسيه.

وهذا ما حصل فعلًا، بعد عدة أيام تم نقلي لسجن نفحة، وهناك أمضيت 17 يومًا في الزنازين؛ لأني رفضت الدخول لذلك السجن، وقاموا بإجراءات عقابية ضدي معروفة للأسرى من تغريم مادي وحرمان زيارة الأهل ومنع الخروج للساحة خارج الزنزانة وحرمان من الأجهزة الكهربائية والجرائد اليومية، ثم قاموا بنقلي إلى سجن رامون القريب من نفحة، وصادف ذلك قبل وقفة عرفة بيوم دخلت للسجن على شرط

أنني خلال فترة قصيرة يتم إعادتي إلى سجن جلبوع الذي نُقلت منه وهو الأقرب لمنطقة سكن الأهل؛ للتخفيف من عبء ومشقة السفر عليهم، سرَّني دخولي لرامون بالالتقاء ببعض الأصدقاء الذين كانوا متواجدين في ذلك السجن حينها، وهذا ما حصل، دخلت للسجن قبل يوم عرفة بيوم واحد وفي اليوم الثاني صمنا يوم عرفة، وقضيت يوم عيد الأضحى في قسم 4 مع الأسرى المتواجدين كما هي حال كل الأسرى في تلك الأيام والتي كان يجب أن تكون الأكثر فرحًا مع الأهل والأحباب، تكون على الأسير هي الأكثر حزنًا وأسىً لبعده وفراقه عن الأهل والأحبة، أمضيت في ذلك القسم حوالي شهرين، ثم تمت عودتي لجلبوع، في تلك الفترة كنت دائم التواصل مع الأهل بالاتصال من خلال أجهزة مهربة للسجون، وبنفس الوقت كنت على تواصل مع أهل سامر وخاصة مع أخيه فارس أبو زيد، من خلاله أطمئن على الحاجة وعلى أخبار سامر في جلبوع؛ لأنه لم يكن يتوفر في قسمه أجهزة تواصل، وكانت وسيلة التواصل عبر أثير الراديو وبرامج سلامات الأهل للأسرى.

يومها وقبل يومين من موعد النقل الشاق والمتعب والجلوس على مقاعد الحديد لساعات طويلة والتي تستغرق يومين من السفر فيما يسمى بوسطة بعد أن تكون قد دارت دورة على مجموعة من السجون، ومن ثم البيات فيما يسمى (المعبار)، اتصلت مع فارس وأبلغته أني عائد إلى سجن جلبوع إن كان يريد إبلاغ سامر بأي رسائل أو أخبار من الأهل، في تلك المكالمة تحدثت معه وهو في مشفى في نابلس أبلغني يومها أن الحاجة دخلت للمشفى وأنها حتى الآن بخير، سوف يتم إجراء عملية قسطرة

لها، وأوصاني أن لا أخبر سامر بشيء حتى لا أثير قلقه فوضع الحاجة مستقر ولله الحمد، تمنيت للحاجة الشفاء والعافية وأبلغته أنني في اليوم التالي سوف أعود وأتصل به للاطمئنان أكثر على الحاجة، وقبل خروجي من السجن والسفر لجلبوع، وفعلًا هذا ما حصل في اليوم التالي وكانت المفاجأة عندما اتصلت للاطمئنان على الحاجة، فأبلغني أنه يتم تغسيل الحاجة وللوهلة الأولى اعتقدت أن بنات الحاجة يساعدنها في الاغتسال بعد العملية الجراحية، ولم أفكر بالأسوأ إلا بعد أن كرر لي الحديث مرة أخرى أنهم يقومون بتغسيلها وأنها أصبحت برحمة الله وذمته بعد فشل العملية الجراحية، الخبر كان عليَّ قاسيًا، وقلنا الحمد لله وإنا لله وإنا إليه راجعون.

قمت بواجب العزاء، ودعونا للحاجة بالرحمة من الله وأن يلهمهم الصبر والسلوان وأن يعوضهم خيرًا، مع أن الأم لا تعوض إلا برحمة الله سبحانه، ومن غيري يعرف حجم الأسى والحزن على فقدان الأم وقد تجرعت كأس منية والدتي رحمها الله، وقد صدق الإخوة السوريون عندما قالوا «بعد الأم ادفن وطم».

ودعت فارس بعد أن أخبرني أنهم قد بعثوا برسالة لسامر وأبلغوه فيها بخبر وفاة الحاجة، قلت سبحان الله وكأن القدر استجاب لدعائي أن لا أحضر لحظة إبلاغ سامر خبر وفاة الحاجة، ولكني وصلت في اليوم التالي إلى جلبوع، وقمنا بواجب المواساة والتعزية، ووجدته إلى جانب حزنه الكبير قد تجلد بالصبر والرضا بقضاء الله، وبكى والدته بكاءً تستحق أن يبكيها ويبكيها جميع الأسرى.

رحلة صبر ومعاناة.. الحاجة مريم عويس

الأسير المناضل عبد الكريم عويس برفقة والديه خلال زيارتهم له في السجن.

رحلة صبر ومعاناة.. الحاجة مريم عويس

شأنها كباقي نساء فلسطين أن يتقاسمن الألم والمعاناة التي ولدت مع جزء كبير منهن لتبقي متلازمة كأن الأمر محتوم ومكتوب على جبين كل واحدة منهن، وكأنهن يقلن للعالم أجمع إننا امتداد طبيعي للعذراء مريم أم سيدنا المسيح عليه السلام التي عانت وابنها عيسى من نفس العدو الذي استهدف الإنسان الذي يتعارض معه، وهم قتله الأنبياء والصالحين.

قوم اليهود أعداء الدين وقتلة الأنبياء وأعداء الإنسانية، وها هنا مريمات فلسطين يحملن الراية بتحدٍ وإصرار على نيل حرية أرضهن واستقلال شعبهن من هؤلاء القتلة المأجورين، بني صهيون (اليهود).

الحاجة مريم عويس أم بشار كانت بداية معاناتها سنة 1974م حين أقدمت قوات الاحتلال الصهيوني على هدم بيتها داخل مخيم جنين واعتقال زوجها؛ بحجة حيازة متفجرات في البيت وحكم على زوجها لمدة 9 شهور، وهي من قام بهذه الفترة بالتربية والاهتمام بأبنائها الذين كان أكبرهم لا يتجاوز أربع سنوات، وزيارة زوجها داخل السجن حتى أطلق سراحه. وسبحان الله كأن العمل الوطني أصبح وراثيًا ومكتسبًا، في نفس الوقت كبر أبناؤها السبعة واعتقل أكبرهم بشار عام 1984م، ومن

هنا كانت بداية المعاناة الحقيقية للحاجة أم بشار والدة الأسرى والجرحى والشهداء، وصاحبة البيوت المهدمة؛ لتبقى شعلة متوقدة تضيء الطريق لكل أبناء الشعب الفلسطيني.

اعتقل ولدها الأصغر عبد الكريم، ثم ابنها يونس إضافة إلى إصابة جميع أبنائها في الانتفاضة الأولى والثانية، وهي من كان يرافق ابنها عبد الكريم الذي أصيب برصاص الدمدم في فخذيه طوال الفترة التي مكث فيها في مشفى الاتحاد بنابلس الذي خرج من المشفى لتصادف عودته للبيت اعتقال شقيقه للمرة الرابعة، أما عبد الكريم فما كادت جروحه تندمل وتشفى حتى طاردته قوات الاحتلال وأصبح مطلوبًا لها، وداهموا البيت أكثر من مرة وعاثوا فيه فسادًا وتخريبًا إضافة إلى التهديد والوعيد للحاجة أم بشار في قتله وإرجاعه في كيس أسود إن لم يقم بتسليم نفسه، وتم اعتقاله سنة 1995م وحُكم بالسجن المؤبد، وتم إغلاق البيت لمدة 5 سنوات أمضتها العائلة ما بين البيوت المستأجرة والخيمة المقامة بجانب البيت، والحاجة أم بشار تنتقل من سجن لآخر بحثًا عن رؤية أبنائها الأسرى من النقب إلى مجدو وصولًا إلى سجن الجنيد في نابلس، وهكذا استمرت في البحث عن أبنائها إلى أن تم الإفراج عنهم ضمن اتفاقية أوسلو.

تجمع شمل العائلة لأول مرة منذ عشر سنوات تقريبًا، وقامت الحاجة أم بشار بتزويج أبنائها بشار وعبد الكريم وحسان لكي يهتموا بشؤونهم على أمل النجاح في حياتهم.

انطلقت شرارة الانتفاضة الثانية، ولم يكن أبنائها بعيدين عن ذلك، فمن كان صغيرًا أصبح اليوم شابًا يعتمد عليه رغم المسؤوليات اتجاه عائلته الصغيرة، وشاركوا في هذه الانتفاضة من بدايتها، وكانت الحاجة مريم تنصح أبناءها بعدم الخروج مع بعضهم لتلك المواجهات؛ لحرصها عليهم، لكن كانوا يقولون لها إن الله هو الحامي، توكلي على الله ولن يحدث شيء بإذن الله. وكانت الصدمة لها حين بلغها خبر استهداف سيارة ابنها عبد الكريم من قبل طائرات الأباتشي الصهيوني، ولكنه نجا من الموت المحقق واستشهد رفيقه وصديقه، بعد هذا تعرض ابنها حسان لانفجار عبوة ناسفة داخل أحد البيوت في المخيم ولولا حماية رب العالمين لكان شهيدًا الآن، ولكنه أصيب بحروق في أنحاء جسده وتلا ذلك مباشرة إصابة ابنها أحمد بقذيفة دبابة صهيونية مما أدى إلى إصابة مباشرة في الصدر، وأُعلن عنه شهيدًا قبل إدخاله المشفى من قبل الإذاعات المحلية.

وبعد أقل من ثلاثة شهور تم استهداف ابنها سامر الذي كان مطاردًا لقوات الاحتلال الصهيوني بصواريخ انطلقت من طائرات الأباتشي باتجاه السيارة التي كان يستقلها مما أدى إلى استشهاده على الفور، وكان وقع الخبر على هذه الأم التي توالت عليها الصدمات تباعًا كالصاعقة فبكت كالأطفال؛ لأنها فقدت عزيزًا وابنًا كان الأحب إلى قلبها من بين إخوانه، وأصرت أن تسير مع مسيرته الكبيرة إلى أن يتم إيصاله إلى مقبرة الشهداء في المخيم.

وبعد أقل من عشرين يومًا اعتقل ابنها عبد الكريم، وبعدها بأيام تم اجتياح المخيم واعتقال أبنائها الثلاثة الآخرين، وتفاقمت المعاناة بعد

هدم منزل العائلة المكون من ثلاث طبقات عقابًا لهذه العائلة، وفي نفس اليوم تم اعتقال زوجة ابنها حسان لمدة عشرة أشهر وابنتها أسماء لمدة قصيرة.

وهنا يأتي وجع الأم التي تناوبت وزوجها على زيارة أبنائهما من النقب حتى عوفر وصولًا إلى عسقلان وهداريم، وهكذا استمر الحال والعقوبة التي فرضتها قوات الاحتلال على الوالدة بمنعها من زيارة أبناءها بحجة واهية ومفبركة لمدة تزيد عن السنة وأكثر، وهي مازالت لغاية الآن منذ تسعة عشر عامًا تزور أبنائها وتقاتل من أجل رؤيتهم أمام أبنائها وبناتها الذين يريدون زيارتهم، وتقول الحاجة أم بشار بأنها تمرض إن لم تذهب لزيارة ولديها عبد الكريم وحسان ومن ثم حفيداها.

وللحق أقول إن الحاجة مريم لولاها لكان حال أبنائها أسوأ بكثير داخل السجن، فهي التي تقوم بالتواصل مع الصليب وحجز زيارات لهم ولأحفادها، وهي التي تقوم بشراء الملابس للجميع وتعرف مقياس كل واحد منهم أطال الله في عمرها، وأتمنى من الله أن يجمع شملها بهم وهي قوية، وأملنا بالله أن تبقي كذلك يا رب.

بدأت معرفتي بهذه العائلة الكريمة في بداية سنة 1995م من القرن الماضي عندما التقيت بابن الحاجة مريم في سجن جنين المركزي في قسم ب، غرفة 5، عندما كانت جنين تخضع للاحتلال والحكم العسكري الصهيوني. في تلك السنة التقيت مع عبد الكريم في غرفة كانت تضم بداخلها أسرى من جميع الفصائل الفلسطينية من فتح وجهاد إسلامي

وقيادة عامة وفتح انتفاضة وجبهة شعبية وجبهة تحرير فلسطين، وكان مصابًا بساقه برصاصات دمدم فتت العظم ومازالت آثارها إلى اليوم تعيق حركته بشكل سليم، وقد توثقت علاقتي به أكثر عندما أخبرني بمعرفة والدي الذي كان يركن سيارة الأجرة التي كان يعمل عليها بعد أن أبعدته سلطة الاحتلال من التعليم، وذلك لم يكن على سبيل الصدفة، بل سبق ذلك معرفة الوالدين أنهما كانا زميلين في التربية والتعليم، ثم بقرار فصلهما منه لنشاطهما الوطني وانتمائهما السياسي، قلت سبحان الله وكأن الواجب الوطني هو في الجينات قبل السلوك والتربية والتوجه لذلك، فالآباء ساروا بهذه الطريق وعلى هذا الدرب، ثم سلموه للأبناء، والآن جاء دور الأحفاد ليحملوا هذه الراية وهذا الواجب وهذا الهم الفلسطيني لعله يأتي اليوم الذي سيندمل فيه هذا الجرح، ثم شاءت الأقدار أن أُفرج عن عبد الكريم بعد قدوم السلطة الفلسطينية وعمل في أجهزة السلطة ولم يكن مصدر رزقه في وظيفته حائلًا دون عمله الوطني، فلما اندلعت شرارة الانتفاضة الثانية لم يتردد بمشاركته وقيادته لهذه الانتفاضة، وآثر العودة لهذا النهج على أن يبقى في مكتبه ووظيفته إلا أن هذه المرة كانت أكثر شدة وعنفًا، ولم يكتف أن يعود وحده بل هذه المرة بصحبة أخيه فحكم عليهما مدى الحياة إلى جانب إخوانهما الذين أمضوا بضع سنين، وتوجت هذه التضحيات أن قدمت هذه الأم أحد أبنائها وأحبهم إلى قلبها وجميعهم أحباب لها شهيدًا وبكته بكاء الأم الحنون لفلذة كبدها، قال لي ابنها: بكت الحاجة رغم جلدها وصبرها كالطفل المفارق لأمه، وأصرت أن تسير مرافقة ومودعه لنعشه إلى مقبرة الشهداء كأنها لا تريد أن تتركه يغادر ويفارقها، وهي

الأم التي لاقت كل الشدائد والصعاب منذ العام 1974م يوم اعتقال زوجها وهدم منزلهم إلى اعتقال أبنائها وهدم منزلها مرة أخرى، إلى اعتقال أحفادها في هذه الأيام، ولكن فراق الشهيد سامر كان له الأثر الأكبر على حياتها وصحتها، وهي ما زالت تحمل هذا الهم وهذا العذاب وهذه المشقة والتنقل بين سجن لآخر بحثًا عن أبنائها وأحفادها.

عدت والتقيت عبد الكريم في سنة 2002م عندما أحضر لسجن عسقلان المركزي، قدم لزيارتي في غرفتي بعد هذه السنين الطوال التي لم نلتق بها، وكان حديثه ذا شجون وذكريات أيام كنا في سجن جنين المركزي، ومن ثم مرت السنين ونحن نفترق ثم نلتقي من سجن لآخر حتى استقر بنا الحال منذ ثلاث سنوات في سجن جلبوع لحين كتابتي لهذا الكتاب، فهذه الحاجة هي نموذج ومثل لكل أم ولأم الفلسطينية، إنها مريم الفلسطينية.

أم بكر نموذج لعائلة صابرة مِعْطاء

الحاجة أم بكر بلال والدة أربعة أسرى مجاهدين في سجون الاحتلال الصهيوني.

أم بكر نموذج لعائلة صابرة معطاء

أم بكر بلال شاهد آخر مع زمن مريم الفلسطينية، وحكاية أخرى من حكايات المجد والتضحية، شأنها شأن أخواتها الماجدات من أمهات الأسرى والشهداء.

بدأت حكايتها مع زوجها الشيخ سعيد بلال _رحمه الله_ وبعد اعتقاله عام 1981م بتهمة المشاركة في تأسيس خلية عسكرية للمقاومة وتعرضه للتحقيق العسكري في سجن نابلس، ولا زالت تذكر يوم أن اقتادوها للتحقيق ورافقها ولدها معاذ ابن العشر السنوات في ذلك الحين، طلبوا منها في تلك الليلة أن تقنع زوجها بالاعتراف وكسر صمته حفاظًا على حياته، حملوا لها الشيخ سعيد الذي لم يكن قادرًا على الوقوف من شدة الألم وتركوها معه وابنها معاذ أملًا أن تثنيه عن صموده، فما كان منها إلا أن شحنته شحنة عالية من الصبر والثبات: «شد حيلك يا أبو بكر، فكلنا بخير وعافية، لا تهتم بأمرنا فالله يحفظنا ويحفظك». جن جنون ضابط التحقيق الذي كان يتصنت على الحديث فاقتحم الغرفة يصيح مهددًا سأحضر الليلة كل العائلة إلى هنا، ردت عليه الحاجة أم بكر وهي تبتسم: «لكن لي طلب واحد، هذه الغرفة صغيرة جدًا، حضروا لنا غرفة تكفي لأفراد العائلة». جن جنونهم من هذا المنطق وهذه الشجاعة

مـن امـرأة ضعيفـة تتحـدى جبروتهـم وفشـلت المسرحيـة التـي أرادوهـا.

مضـت السـنوات وانطلقـت شرارة الانتفاضـة الأولى عـام 1987م، وكبُر الأولاد وانخرطـوا في المواجهـة منـذ اليـوم الأول، وبـدأت العائلـة فصـلًا جديـدًا مـن المعانـاة.. فأصيـب معـاذ بالرصـاص الحـي خـلال المواجهـات ثـم بـدأت رحلـة السـجون والاعتقـالات المتكـررة منـذ ذلـك الحـين لـكل أبنائهـا الخمسـة.

كفـى يـا الله، إنهـا صرخـة ودعـاء إلى الله مـن أم فلسـطينية، إنهـا مريـم قـد بلـغ الشـوق والحنـين لأولادهـا إلى حـد فـاق صبرهـا الصـبر، إنهـا أم مؤمنـة صادقـة طاهـرة نشـأت وتربـت عـلى التقـوى والطاعـة لله وأنشـأت ذريـة مجاهـدة أرضعتهـم إلى جانـب حليبهـا آيـة قـرآن كـما وصفهـا زوجهـا المرحـوم الشـيخ سـعيد عندمـا دخـل منزلهـا ووجدوهـا حزينـة جالسـة تصبِّر نفسـها عـلى الابتعاد عـن أبنائهـا الأربعـة المعتقلـين في سـجون الاحتـلال وهـي تنتظـر تنفيـذ قـرار هـدم منزلهـم مـن قبـل هـذا المحتـل، قـال لهـا الشـيخ كـما أخـبرني أحـد أبنائهـا عندمـا التقيتـه في سـجن نفحـة وحدثتـه عـن وفـاة والـدتي رحمهـم الله جميعًـا وعـن القصيـدة التـي رثاهـا بهـا والـدي، فأرسـل لي بيتـين من الشـعر الـذي قال الشـيخ:

يمناك تحضن بدرًا دونه سحب سوداء تخفي جمالًا فيك رباني

يا أخت علان هل أرضعتم لبنًا أم أرضعـــوا معه آيات قرآن

إنهـا صرخـة أم تقـول: يـا رب قـد بلـغ الشـوق والحنـين لأبنائـي الحـد الـذي يتجـاوز قـدرة البـشر بعـد أكثـر مـن 25 سـنة مـن الاعتقـال ووفـاة الوالـد والابـن الأكـبر الشـيخ بكـر أبـو السـعيد.

إنها صرخة أم في وجه كل القوى والتنظيمات أن قد كفاكم تقصيرًا بحق الأمهات والأسرى.

إنها صرخة الأم التي أرضعت أبناءها آية قرآن كما وصفها زوجها المرحوم، وكما أخبرني ابنها الشيخ معاذ بقوله لي إن الوالدة كانت توصيني وأنا خارج من منزلنا: «إن الذي فرض عليك القرآن لرادك لي معاذ»، أي يا بني احفظ الله، أخلص نيتك لله، اعتصم بالله وكن مع الله، والله فقط هو حسبك، وإني وهبتك لله وإنك بعنايته ورعايته.

كانت بداية معرفتي بهؤلاء الإخوة عندما التقيتهم في سجن عسقلان المركزي سنة 1996م، بداية كانت مع الشيخ عثمان وسكنت وإياه في غرفة واحدة مع الإخوة الشهيد نضال فرحات وأخويه وسام وحسام، ومن ثم حضر عندنا الشيخ معاذ وكان في الاعتقال الإداري، وبعد الإفراج عنه عاد لجهاده، ثم اعتقل وحكم هو الآخر بحكم المؤبد، ومن بعدهم لحق بهم الشيخ عبادة الذي أُفرج عنه في صفقة تبادل الأسرى في عام 2011م، والشيخ بكر الذي تُوفي بعد خروجه من السجن بأربعة شهور بعد أن تعرض للاعتقال لمرات عديدة لاقى فيها من غرف التحقيق والتعذيب القاسي.

تنقلت وهؤلاء الإخوة في السجون مرة نلتقي، نفترق بين سجن وآخر، حالنا حال بقية الأسرى، وإحدى هذه المرات اجتمعت والشيخ معاذ وعثمان والشيخ عبادة في سجن إيشل في بئر السبع في سنة 2011م، موعد صفقة التبادل التي تجاوزتني والشيخ معاذ وعثمان والتي انتظرناها

طويلًا أكثر من خمس سنوات والتي وعدنا أن يكون لنا نصيب بالتحرر من الأسر في هذه الصفقة. وفي يوم الإعلان عن التوقيع عليها أذكر أنني في تلك اللحظات تواجدت في الممر بين الغرف (المردوان)، احتضنني الشيخ معاذ والشيخ عثمان مهنئين بعضنا أن الصفقة قد أنجزت وأن ساعة الفرج بعد أكثر من 20 عامًا في الأسر قد حانت، ولكن هذه الفرحة والسعادة بعد عدة ساعات تبددت وتحولت إلى خيبة أمل كبيرة وحزن عميق وشعور بالخذلان حزنا على أنفسنا وكان حزننا أكبر على أمهاتنا وآبائنا وأهلنا الذين فرحوا معنا، وعانوا ما عانوه من بطش وظلم ومشقة وهم ينتظرون هذه اللحظة وهذه الساعة بشوق وحب أكبر من شوقنا وحبنا. أذكر يومها ذاك الموقف العظيم والحزن من الشيخ معاذ في خطبة صلاة الجمعة.

في يوم إعلان الصفقة مساءً دخلنا لغرفنا، وبدأ الشباب يستقبلون الأسماء من الخارج من خلال جهاز اتصال مهرب للسجن، لا أعرف يومها دعوت الله أن كنت من بين الأسماء المفرج عنها فلله الحمد وهذا بنعمة من الله رغم أنني كنت قد أبلغت قبل ذلك أنني ممن قدمت أسماؤهم وأنه سُيفرج عني ضمن الصفقة، ولم يشملني الإفراج طلبت من الله الصبر على هذه المحنة والمصيبة التي يعجز الإنسان عن وصفها إلا من عاشها بنفسه خاصة عندما تكون الأبواب بعدها قد أغلقت، وهي لم تفتح أصلًا سنين طويلة لمن طال به المقام داخل السجن ومن هو محكوم حكمًا مؤبدًا (مدى الحياة)، ولله الحمد نلت ما رجوته وتأملته من الله سبحانه فقد تجاوزت تلك المحنة وتلك الأيام بصبر وإيمان ورضا بقضاء الله وأسف

كبير وعدم مسامحة لمن قصر بنا وبحقنا بالخروج من هذه السجون. نادى أحد الإخوة من الغرفة المجاورة قائلًا: بعين الله يا أبا حمزة، هذا يعني أن اسمي غير موجود ضمن الصفقة، حمدت الله واحتسبت أمري عند الله سبحانه وتعالى.

في اليوم التالي للإعلان عن الصفقة خرجنا لصلاة الجمعة، وبدأ الشيخ معاذ الخطبة بحمد الله وشكره، وبعد وعظ وإرشاد بارك للإخوة الذين سيُفرج عنهم وعاتب من قصر وعبر عن مشاعره كيف لو كنا معهم، وفي تلك اللحظات وقعت عينه عليَّ بين المصلين، وقال متسائلًا: لماذا السعدي بقي؟ واجهني بالبكاء وأبكى جميع المصلين في الساحة حتى قام أحد الإخوة وبدأ بالتكبير والحمد، والمصلون يرددون خلفه إلا أن الشيخ الذي أحبه واحترمه كثيرًا عانى بنفسه تلك المعاناة، وشعر بنفسه بحجم المأساة والخذلان، كيف لا وهو وأخوه معًا يشاطرانني هذا السجن وهذه المعاناة. لم يعد لإكمال خطبته ولم يحتمل ذلك وبين أنه يريد تصبير نفسه وأخيه وعائلته الكريمة، وجاءني مصبرًا ومواسيًا بأن الفرج سيأتي يومًا بإذن الله سبحانه، وأن لا تقنط من رحمة الله وهذا ابتلاء، والأجر سيكون عظيمًا عند الله سبحانه.

تعرضت الحاجة أم بكر لاعتقال بهدف ابتزاز أحد أبنائها في التحقيق، وتصف الحاجة أم بكر مشهد الاعتقال في تلك الليلة التي لم يبق معها أحد من أبنائها الخمسة الذين توزعوا على السجون حين داهم الجنود البيت قبل الفجر ووضعوا القيود في يديها والعصبة على عينيها، وصفت الحاجة أم بكر المشهد بأنه الأفظع في حياتها وهم يقتادونها نحو سيارة الاعتقال،

ولكنها في هذه اللحظات تنزلت عليها السكينة وهي تردد ﴿وَأُفَوِّضُ أَمۡرِيٓ إِلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ﴾ [غافر: 44]، فتقول: فما عدت أشعر بهم. أدخلوها الزنزانة وأغلقوا عليها، وبقيت وحيدة تذكر الله وهي تتذكر أبناءها كيف عاشوا في هذه الزنازين التي شاركتها فيها زوجة ابنها عبادة كذلك، وحين واجهوها بابنها عبادة وهو فاقد البصر بدأت تشحنه وتحثه على الثبات وأن لا يقلق بشأنها وهي في قمة التعب والإجهاد، لم يتحمل جسدها الضعيف فتدهورت حالتها الصحية مما اضطرهم إلى إطلاق سراحها بعد تجربة قاسية في أقبية التحقيق.

ولا زالت أم بكر شأنها شأن أمهات الأسرى حفيدات مريم تعاني وتتقلب في أوجاعها، وتلجأ إلى الله آناء الليل وأطراف النهار، تبث حزنها وشكواها إلى الله تبارك وتعالى، لم تفقد الأمل بفجر جديد يمسح دمعها ويحقق أملها باحتضان أبنائها بعد ربع قرن من الغياب.

لن نركع مثل جدك!

جرائم الاحتلال مستمرة، ولن تكسر
إرادة الأحرار.

لن نركع مثل جدك!

حدثني أحد الأصدقاء الأسرى قائلًا: استيقظت من نومي وأنا في سن العاشرة وجندي صهيوني يقتحم بيتنا وهو يضع قدمه على صدري، ثأري معه ومع ما يمثله لن ينتهي وأنا ما زلت وسوف أبقى أبحث عنه، ومن يمثل تلك هي قدم الاستعمار الذي يجثم على أرضنا وعلى صدورنا، أحد قادة الاحتلال ورئيس جهاز الموساد مئير داجان يعلق على جدار مكتبه صورة لعجوز يركع على ركبته ويرفع يديه أمام جنود النازية، يقول هذا المحتل: هذه صورة جدي وهي تذكره بتلك الحقبة وحتى لا ينسى ولا تتكرر مثل هذه الحادثة وإنها المحفز القوي له لممارسة إجرامه بحقنا. ومهما يكن صدقه وإن كان هذا العجوز جده أم أنه مجرد عجوز في صورة فهو لا يعلقها للذكرى بجده فقط، بل هي للعبرة وما تعنيه، ومع فارق التشبيه فهو مارس الإجرام والاحتلال بحق شعبنا وأرضنا ويدوس على كرامتنا محاولًا تركيعنا كركوع جده أمام النازية، إن كان هو يشبههم ويتماشى معهم بإجرامهم فلن نكون مثل جده.

إن قدم الاستعمار التي وطأت وطننا العربي قد زالت، فالغزو الصليبي لوطننا زال، والاحتلال الفرنسي للجزائر 130 عامًا زال، واحتلالهم لسوريا وعبارة القائد الفرنسي عند قبر صلاح الدين ها قد عدنا يا صلاح

الديـن قـد زال، وبعـد احتـلال فلسـطين وحـرب 1967م وقـول غولـدا مائير: إني أشـم رائحـة أجـدادي في خيـبّر، فهـا هـي تبلـغ مرادهـا بهرولـة المطبعـين مـع دولـة الاحتـلال، وطائراتهـم تمـر مـن فـوق مكـة والكعبـة المشرفـة ومـن فـوق خيـبر، وهـا هـم يقتربـون أكثـر مـن الوصـول ونيـل مرادهـم مـن العـودة إلى خيـبر. أمـا احتلالهـم لفلسـطين والقـدس فسـوف يـزول مـا بقـيّ مـن يبحـث عمـن وطـأ بقدمـه عـلى صـدره ووطنـه.

خاتمة

أمي مريم الفلسطينية، إن الأمهات تتشابه جميعهن بحبهن لأولادهن ويتحملن آلام الحمل والإنجاب وكد الرعاية وعناء التربية وتنشئة أطفالهن، ويتشابهن بحرصهن وخوفهن عليهم، ففي مكان غير فلسطين المحتلة تجد الأم أنها تخاف على أولادها من الإدمان على المخدرات أو من حوادث الطرق أو من كارثة طبيعية أو مصيبة تصيب ولدها على غير ذلك من الأمراض والتي تتشارك بها كل الأمهات أيضًا، ولكن خصوصية الأم الفلسطينية أنها منفردة ولا تشاركها أي أم بأنها تخاف على ولدها من قبل الاحتلال وهو بطريقه إلى مدرسته أو جامعته أو عمله وحتى وهو في بيته، فهي لا تأمن عليه القتل أو الاعتقال، فالأم الفلسطينية هي الأم الوحيدة التي تنجب أبناءها على حواجز جنود الاحتلال بعد منعهم إياها من الوصول إلى المشفى عند مخاضها للإنجاب، والخطر عليها وعلى وليدها على تلك الحواجز خطر عظيم حيث أنه يوجد الكثير من النساء اللواتي فقدن حياتهن وهن يعانين على حواجزهم آلام المخاض والإهانة والتنكيل، وحتى إنها وصلت في بعض الأحيان للقتل المباشر لها ولجنينها.

إن مريم الفلسطينية التي تعرضت للتشويه والطعن بشرفها وعفتها ومحاولة قتل ابنها النبي عليهم السلام قبل ألفي عام تقريبًا على أيدي آباء

وأجداد هؤلاء الصهاينة هي نفس المعاناة التي تعانيها مريم الفلسطينية وابنها هذه الأيام، وهم نفس القوم والمجرمين الذين يغتصبون مريم الأرض (فلسطين).

وهذه الأم التي عانت ومازالت تعاني من هذه المصائب والآلام وهذا الخوف على أبنائها لهي جديرة بقول الرسول صلى الله عليه وسلم: «الجنة تحت أقدام الأمهات».

وها أنا أختم وأقول: «إن الجنة تحت أقدام المجاهدات الفلسطينيات».

أقلام تتحدث عن
أمي مريم الفلسطينية

مريم الفلسطينية.. حكاية دامية وملحمة فداء

بقلم الأسير: معاذ سعيد بلال

من مداد قلبه الذي أثقلته الهموم، وبث فيها أوجاعه التي ما قتلت في روحه الأمل، أمل بتحرر مشرف وصبح عزيز من بعد ليل طويل لما ينقضِ بعد.

تميز كتاب «أمي مريم الفلسطينية» بالبساطة والعفوية والتلقائية، وكأن كاتبها يحدثك وجهًا لوجه، وينقل بصدق وواقعية واضحة مشاعره مع كل حدث من أحداثها.

إنها قصة مثخنة بالجراح، تحكي صفحة من صفحات جهاد شعبنا المتواصل منذ أكثر من سبعين عامًا، ومن أبهى صفحات هذا الجهاد المبارك الانتفاضة الكبرى عام 1987م، وقد نقل لنا أخي الأسير رائد بثًا حيًا ومباشرًا صور المواجهات المفتوحة بين الشعب كل الشعب والاحتلال، صورة نادرة من الوحدة والتلاحم والتكافل والأخوة التي جمعت الناس في ذلك الزمن الجميل الذي تشرفت بالعيش فيه، وكان رائد صريحًا في عدم إغفال السلبيات التي لم تشوه جمال الصورة المشرفة وهو يشير إلى ظاهرة العمالة التي تعيش على هامش بطولة شعب مقاوم.

عشنا مع رائد المطارد وسخونة الأحداث حتى إنك لتحبس

أنفاسك وأنت ترافق رائد في حواري ومغارات و(عكود) البلد، ترافقه وهو يحمل الشهيد نعمان ويودع الشهيد سامر.

والجميل أن رائد لم يجعل من نفسه محور الأحداث كلها كعادة كتاب السيرة الذاتية، بل قدم لنا شهادة عن أحداث تلك المرحلة، فكان شاهدًا على عصر المقاومة وهو ينقل لنا صورة حية من الداخل لبيت خنساء فلسطين الحاجة مريم فرحات، وكأنه هناك في غزة العزة رغم قيوده في عسقلان.

يحكي لنا رائد حكاية صبر أمه رحمها الله التي طالما حدثني عن شوقه لها قبل رحيلها ونحن ننتظر معًا الصفقة التي تجاوزنا قطارها والحمد لله على كل حال، كنت مع رائد هناك في سجن بئر السبع يوم صفقة وفاء الأحرار التي اختلطت فيها المشاعر، أنفرح مع إخواننا المحررين أم نحزن على وجع أمهاتنا المكلومات؟! كان رائد يومها جبلًا شامخًا وهو يحدثني عن مشاعره الإيمانية التي تدفقت في ذلك الموقف وصبره ورضاه بقدر الله الكريم.

ثقتي بالله عظيمة أن فصلًا جديدًا لهذا الكتاب سوف تكتبه يد رائد قريبًا بإذن الله عنوانه (وأشرق فجر الحرية)، أمل لن نتخلى عنه، ووعد من الله لن يخلفه، وسيجري الله قدره يومًا ما على الأيدي المتوضئة القابضة على زناد المقاومة، ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ ۖ قُلْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَرِيبًا﴾ [الإسراء: 51].

مريم الفلسطينية.. المارد الذي لا يكل ولا يمل من التعب

بقلم الأسير: عبد الكريم عويس (أبو النجيب)

كنت قد قرأت العديد من الكتب والدراسات والقصص التي تهتم بالشأن الفلسطيني عمومًا وفي قضايا الأسرى والاعتقال خصوصًا، وجميع تلك الكتب جاءت بشكل نمطي متكامل وبنفس النهج والأسلوب المتبع الذي اعتدنا عليه، وشرح عن كيفية التحقيق والأساليب المتبقية فيه بكل قوتها والإضرابات عن الطعام والصمود الأسطوري فيها وتحقيق الإنجازات، ويتحدثون عن صفقات التبادل وعن التعليم، وكيف تحولت السجون إلى مدارس وجامعات ثورية الخ، لكن تلك الكتب عادية بالمقارنة مع ما كتبه الأخ الأسير رائد السعدي (أبو حمزة)، ليس مبالغة إن قلت إن ما كتبه أبو حمزة هو الأجمل والأروع من حيث البساطة والسرد اللغوي للحديث الذي يفهمه عامة الناس، وكذلك استفزاز للمشاعر والأحاسيس المكبوتة لدى شريحة الأسرى تحديدًا بحكم السنوات التي أمضوها داخل الأسر، وجفاف الدموع وقسوة القلب من جراء البعد والحرمان.

كتب رائد السعدي عن مشاعر الأم العظيمة وأحاسيسها الجياشة تجاه ولدها التي أفنت سنوات عمرها تطارد خلفه على عتبات السجون، ورغم ألم ومشقة السفر إلا أنها المارد الذي لا يكل ولا يمل من التعب، تقف أمام ولدها شامخة كالجبال كي لا تشعر ابنها الأسير بشيء، وفي نهاية

المطاف تموت وفي قلبها نقمة على هذا المحتل؛ لعدم احتضانها لولدها، فهناك حقًا أمهات فلسطينيات لا يمكن وصفهن إلا بالمريمات الفلسطينيات اللواتي صبرن على ظلم الاحتلال في هذا العصر والزمان.

وأختم بقول النبي محمد عليه الصلاة والسلام: «الجنة تحت أقدام الأمهات».

رحمة الله على الحاجة أم عماد، والدة الأخ الأسير رائد، وكل أم فلسطينية انتظرت ولدها كي يعود.

مريم الفلسطينية هي الرمزية الأجمل والأعظم والأرقى

بقلم الأسير: أمجد العبيدي (أبو زيد)

جدي حرق حصاد أربعين سنة من شعر الوالد: هذا الجد الحاج شريف يمثل حقبة من التاريخ الفلسطيني، ليس هو المسئول عنها ولا حتى يمكن تحميله المسئولية عن هذا النمط من التفكير والطريقة من التصرف، فالإنسان ابن بيئته وهذه ثقافة مجتمعية أنتجها واقع مرير تجمعت مجموعة كبيرة من الأسباب والإرهاصات للوصول إليه، وعمل له الكثيرون وسخرت له إمكانيات ودول وعلوم ومستشرقين، لكن اللافت في الأمر هو شخصية الوالد، ذلك الشاعر المعلم والمربي الذي نذر حياته لتربية الأجيال متحديًا كل ما يحاك من أجل تكرار جيل الحاج شريف بعقليته إن جاز التعبير.

الوالد الذي نهض من تحت كل ذلك الركام ليصبح ذلك المربي الفاضل، صاحب اليد الخضراء والبصمة الثابتة على مر الأجيال والمشهود لها من كل أبناء المنطقة بنضرتها كما بنظافتها، وهذا قمة التحدي للمؤامرة، وقمة البطولة في المواجهة، وقمة النصر لفكره وبيت شعر حمله شخص أمام عالم من الدول والدوائر، فالحق أن نفتخر به وأمثاله، وهو عينة من كثيرين مثله، وإن كانوا قلة بالمستوى الذي نطمح.

استشهاد نعمان وسامر: مهما تحدثنا عن الاستشهاد والشهداء فلن

نصل إلى درجة الوفاء لهم ولحقهم، لكن قدر استطاعتنا نقول ما يمكن أن نعتبره نوعًا من الواجب تجاههم، ذلك أن الكثير منا يمر عليهم كأرقام أو أسماء جافة جامدة لا حياة فيها كأنما هم أسماء عمال على حاجز يحملون معهم بطاقات ممغنطة يقرأ الاسم ليمر مرّ الكرام.

أنا عشت ذلك الجيل وتلك الأيام، وبكيت نعمان طه وسامر العاروري وأبو حمزة كذلك، وفوق ذلك يعرفهم شخصيًا وحضر استشهادهم، لكن كيف السبيل إلى جعل كل فلسطيني يعيش ذلك الإحساس، وتلك الحالة الشعورية التفاعلية مع الاستشهاد والشهيد، ومع العائلة التي فقدت الشهيد على الرغم من أن الشهادة حياة كما وصفها الله سبحانه وتعالى، لكن هي بمقاييس البشر والدنيا فقدان الأحبة وحالة من الخسارة التي لا عوض لها، وألم لا مثيل له يعانيه الأحبة.

روح عماد: أخاك أخاك فمن لا أخًا له كساع إلى الهيجا بغير سلاح، ما أجمل أن يكون لك أخ شقيق، وبنفس الوقت مخلص وأخ صديق محب يخاف عليك ويهمه أمرك، ليس فقط لأنه شقيقك، بل لأنه مقتنع بك، آلمتني القصة وحركت الخواطر والشجون.

ثمين ينعى لي أمي: يبدو أن العواطف غير المتاحة جعلت منا أكثر عاطفية فقد سرحت كثيرًا وبكيت.

في الختام: الحقيقة أني شعرت بشيء من الفخر والإعجاب معًا، وأنا أقرأ كأني أعيش الحدث؛ لتقارب جوهر المواضيع من بعضها بيننا، فأنا عشت الانتفاضة الأولى وكنت مطاردًا واعتقلت عدة مرات، وتقلبت في

أحداث كثيرة، كأن الحديث عني، لذلك تفاعلت معه وأعادني سنوات إلى تاريخ كدت أضعه في قائمة المنسيات، رغم إنه أيام حياتنا وشبابنا وتكون قلوبنا وعقولنا، والأهم أن تلك الأيام كانت بالنسبة لنا فيها من القيم الأخلاقية والدينية ما يكاد يكون قد انعدم في هذه الأيام أو على أقل تقدير تضاءل إلى حد كبير.

التركيز في الأسر على مفاصل محددة، دمجت الخاص بالعام مدموجة بالعواطف الجياشة، والأحاسيس الإنسانية، القائمة على حب الوطن والتضحية والاستعداد للشهادة، جعل من العمل تحفة فنية كأنها حقل ربيعي لم تعبث به يد الإنسان فأخرج أزهاره الطبيعية بتنوعها وعفويتها وجمالها الذي لا يمكن لأي إنسان سليم الفطرة إلا أن يبهره ذلك المنظر بجماله ولجماله وروعته.

عائلة فرحات وأم محمد بالذات لن نفيها حقها مهما قلنا، لكن وللحق فقد وفيت حق الصديق بكلام يليق به، فبارك الله بك، حتى إنها أصبحت لديك العائلة الثانية، والأم أمك الثانية وأم الفلسطينيين كلهم، ومريم الفلسطينية التي هي الرمزية الأجمل والأعظم والأرقى التي سمعت في كل ما عشته، فرب كلمة خرجت دون أن تلقي لها بالًا إلا أنها في الميزان أثقل من جبل أحد، ولعل الله أعطاك الإلهام؛ ليكون لها القبول إن شاء الله.

المعتقل الصامت يتفجر بفيض من ينابيع العشق والمحبة والإحساس

بقلم الأسير المحرر: د. رأفت خليل حمدونة

لقد أبكيتنا يا أبا حمزة مرات وأنت تطلق العنان لمشاعرك الصادقة، وعاطفتك الجياشة والصادقة والتي خرجت من القلب لتصل للقلب، فعند مطالعتي لكتاب (أمي مريم الفلسطينية) والذي قرأته تقريبًا على نفس واحد دون كلل أو ملل، شعرت أني أمام تجربة فريدة وجديدة من إنتاجات الأسرى وأدب السجون.

فحينما قررت أن أكتب رسالتي الدكتوراه بعنوان (الجوانب الإبداعية للأسرى الفلسطينيين في السجون الإسرائيلية)، قمت بمطالعة عشرات الكتب التي خطها الأسرى أثناء الاعتقال أو بعد الحرية في مجالات عدة في تجربة الاعتقال وتطور الحركة الأسيرة وأدب السجون والإدارة والتنظيم والخطوات النضالية والاعتقال والتحقيق والتعذيب النفسي والجسدي والتعليم والثقافة والديمقراطية الاعتقالية وأشكال المواجهة والاحتراف مع السجان، وقرأت الكثير من السير الذاتية والتجارب الاعتقالية التي خطها الأسرى بأيديهم وحملت الكثير من المفاهيم والقيم الوطنية والبطولات وأحيانًا النرجسية في الوصف والتركيز على الشخصية وإمكانياتها وقدراتها وتفوقها وتخطيها للصعاب، ولكن المختلف عن كل تلك الإنتاجات في كتاب (أمي مريم الفلسطينية) للكاتب الرائع ورفيق الأسر رائد السعدي

أنه فجَّر طاقته الإبداعية بمصداقية عالية كونه كتب حروف سيرته الذاتية من رحم المعاناة في غرف معتمة ورطبة وليس في صالونات مكيفة، أو في حياة مرفهة تقتصر على الصور البلاغية والقدرة على التعبير فقط .

كما أن الكتاب كان غير تقليدي بل هرب من هذه الصفة، من خلال ابتعاده عن جانب الانتهاكات والقوانين الدولية، وممارسات السجان التي تحولت في ذهن المتابع والمتضامن الفلسطيني والعربي والدولي إلى شيء مألوف وغير جذاب وغير منصفٍ في آنٍ واحد، تلك الصورة النمطية التي غيَّبت مئات الإضاءات والإشراقات والمشاعر الحقيقية والصادقة.

وخلال مطالعتي لكتاب (أمي مريم الفلسطينية)، عادت بي الذاكرة للخلف متأملًا في شخصية أخي وصديقي ورفيق زنزانتي رائد السعدي (أبو حمزة)، الأسير المخضرم الذي عاش مع أجيال متعددة (جيل انتفاضة 1987، وحقبة أوسلو، وانتفاضة 2000، وجيل هبة القدس)، وقد قضى في سجنِهِ أكثر من ثلاثين عامًا من ريعان شبابه، وأؤكد ليس غريبًا على هذه الشخصية الحساسة والصامتة أن تحمل في داخلها كل هذا الكم الوافر من العاطفة وصدق الإحساس والمشاعر وقوة التعبير، وأن تتفاعل مع آلام غيرها وتحمل همومهم وتفخر بعطائهم بعيدًا عن النرجسية بالتركيز على الصمود وهو الأهل له بخوض تجربة نضالية واعتقالية طويلة، وفخره بعائلة مناضلة وأسرة مميزة ومتماسكة يقف على رأسها رجل مناضل بقيمة وحجم الأستاذ المناضل والأديب والشاعر (أبو عماد)، الذي عانى من ويلات الاحتلال والاعتقال وفقدان الابن والزوجة والأخ والابن في الاعتقال وفقدان البصر وحتى السمع في الآونة الأخيرة، وقد شاركته الحياة بنفس حجم المعاناة

أمنا جميعا الحاجة (أم عماد) رحمة الله عليها، وأقل ما يمكن وصفها بـ(مريم الفلسطينية) والتي فاقت بصبرها الروايات والحكايات وصفحات الكتب.

ومن جماليات (أمي مريم الفلسطينية) أن كل أسير إذا ما قرأه سيجد أن الكتاب في جانبه الإنساني والعاطفي بعيدًا عن التجربة الشخصية، يحاكي في ذاته ما لم يحاكه عموم إنتاج الأسرى؛ كونه يتعامل مع مكونات النفس البشرية على حقيقتها وبما تحمل من جوانب القوة (كالثقة بالنفس والشجاعة والصلابة والمواجهة والتحدي والمقدرة على التكيف في أصعب وأقسى الظروف وتحقيق الاستقرار النسبي والاتزان النفسي والتعامل بمرونة مع الظرف والقدرة على تحقيق العلاقات الاجتماعية مع شرائح تحمل قدرات معرفية وعلمية وعادات وتقاليد مختلفة للأسرى)، في نفس الوقت استطاع الكاتب أن يتطرق لحقيقة أخرى غيبتها إنتاجات الأسرى وهي طبيعية أن هذا الأسير هو مخلوق وهو إنسان وفي جبلته مكونات طبيعية لها علاقة (بالخوف وحسابات المواجهة والضعف وألم المعاناة والسجن وحساسية بعض المواقف والقدرات المتباينة في التعامل معها، والتأثر كما التأثير بالأحداث والتوق للاحتياجات الطبيعية للنفس البشرية وامتلاك المشاعر والعاطفة التي تفيض في مواقف الفرح والحزن)، وبالتأكيد تختلف تلك الصفات والمكونات على صعيد نقاط القوة أو الضعف من شخص إلى آخر بنوعها وماهيتها وحجمها ولهذا كان الكاتب موفقًا جدًا في سرده للأحداث وتأثره بها في لحظة الموت أو الاعتقال أو المطاردة وظروفها والتعمق بنفسيات من حوله والإحساس بهم وبمصابهم والأكثر عند لحظة عدم شمله في الإفراجات التي تعددت أسبابها تحقيقًا للحرية التي هي

أسمى أماني كل أسير وتحمله للمزيد من الألم نتيجة لهذا الواقع، وظروف وأحداث كثيرة أخرى يتأثر بها الأسير بشكل أو بآخر.

كما أنني أشعر بالدين تارة والفخر تارة أخرى أن خصني الحبيب أبو حمزة بفقرة أثلجت صدري، كيف لا وقد مر عليه آلاف الأسرى والمعتقلين الفلسطينيين وقد حظيت منه على هذه الخصوصية ووافر المحبة والذكرى الطيبة لمواقف رائعة ومتنوعة «معيشية ونضالية واجتماعية» عايشناها معًا في أكثر من مكان اعتقال كان آخرها في سجن هداريم في العام 2004م أي ما قبل سبعة عشر عامًا متواصلة لازمتني بعد تحرري ونمت خلالها بيننا وبين عائلة رائد جذور المحبة بلا انقطاع حتى هذه اللحظة، وبالفعل أشعر بأنني مدين لرائد بالاهتمام الكبير من خلال توفير حاضنة رائعة لشروط دراستي في الجامعة المفتوحة في إسرائيل أو كما يطلق عليها بالجامعة العبرية أيام تخرجي، وقد وجدت منه التشجيع والهدوء ونظام حياة اعتقالية، وشعرت أيضًا بحجم الفرحة له عند تخرجي بما لا يقل عن فرحتي وأهلي بهذا الإنجاز الذي أهلني لمواصلة تعليمي الأكاديمي بعد التحرر.

في النهاية حقًا لنا أن نتغنى بـ (أمي مريم الفلسطينية) كما يحلو للكاتب تسميتُها وكان موفقًا؛ لأنها ستذكرنا بلا ريب بمعاناة كل الفلسطينيين وأمهاتهم لحرصهم على أبنائهم ومعايشتهم لآلام الشهادة والاعتقال والمطاردة وكل أشكال الأذى القديم الجديد للاحتلال، وأهنئ أخي أبو حمزة على توفيقه في إخراج هذا العمل النوعي والذي سيكون مرجعًا للتعرف على الحقيقة الغائبة عن الأسرى في الأدبيات، والذي يعبر عن ذواتهم وآمالهم وطموحاتهم الشخصية والوطنية.

مريم الفلسطينية تذكرك دومًا بأنك إنسان

بقلم الأسير: كريم عبد الرءوف حسان

منذ اللحظات الأولى وقد عانى شعبنا الفلسطيني ويلات القتل والتهجير والإبعاد والاعتقال من قبل عصابات القتل والاغتصاب التي جرُدت من إنسانيتها وتعاملت كقطيع من الحيوانات، لكن شعبنا الفلسطيني وقف صامدًا أمام آلة القتل بكل إنسانية وشجاعة المقاتل الإنسان، وقف هذا الشعب كأشجار الزيتون التي تتحمل قساوة فصول السنة، وكأشجار السنديان بالصلابة والتحدي، والشاهد على ذلك طبيعة الأرض والمكان أنها جبال الكرمل وأسوار عكا وبحر يافا التي تحاكي كل ذكريات شعبنا، وكل ما في هذه الأرض شاهد على مكاننا الإنساني، أليست بيت المقدس أولى القبلتين وبوابة سماء الإنسانية؟! إن الدافع الحقيقي لكتابة هذه الكلمات هو أسير إنسان أمضى ما يزيد على اثني وثلاثين عامًا في الأسر، وهو ليس ثائرًا فقط، هو قبل كل شيء إنسان، وإن لم تكن كذلك لماذا إذن أنت موجود؟!

لقد نسج هذا الأسير سيرته الذاتية بطريقة إنسانية متواضعة تذكرك بإنسانيتك في كل فصل من فصولها، لقد كتب بأناملـه أروع القصص الإنسانية؛ ليذكرك دومًا بأنك إنسان. لقد تراقصت دموعي حزنًا وفرحًا معًا؛ لأن كل ما كُتب هناك كان يحمل في ذاكرتي ما فردت له كإنسان،

لقد أعاد هذا الأسير الإنسان لي ولغيري شيئًا كاد أن يتلاشى من حياتي وذاكرتي وهي مشاعر الفطرة الإنسانية، دعني هنا أقل لقلمك أو لوحي القلم لديك، لقد كتبت لنا ولك، لقد كتبت لنا ما فقدناه وما دافعنا من أصله وهو كيف تكون إنسانًا، لقد أخذ هذا البنان منحى آخر عن أدب السجون وأعاد البوصلة إلى ما كنت عليه، أقصد فطرتك الإنسانية التي جُبلت عليها كل البشرية، ويعني كل ذلك إذا كنت صاحب ضمير حي فذلك يعني بأنك ما زلت إنسانًا.

أخي العزيز أبو حمزة! أقول لك سوف يبقى الماضي محفورًا على أجساد الأسرى ومنقوشًا في نفوسهم، ويبقى الحاضر بسيطًا ومتواضعًا؛ ليقف الماضي أليم الذكريات وقاسي التفاصيل حتى إن النفس تعجز عن محوه أو نسيانه، لكننا في المحصلة النهائية سوف نكون قادرين على الوقوف من جديد لحظة يتسنى لنا ذلك.

مريم الفلسطينية.. الفطرة السليمة التي جُبلت على الخير

بقلم الأسير: وسام سعيد العباسي

رغم كل المعاناة والبعد عن الأهل والأحباب ما زال رائد هذا المجاهد بعد ما سطّر بجهاده وجهده في مقاومة المحتل الغاصب أروع التضحيات، ما زال يسطر بكلماته وإنسانيته أروع القصص التي نبعها القلب والتي تحمل بطابعها الشيء الكثير، فهذه الفطرة السليمة التي جُبلت على الخير ستظل حاضرة في نفوس الخيِّرين من أبناء شعبنا العظيم، وستظل هذه الكلمات والتي كتبت بأحرف من نور بها تحكي حكاية هذا المجاهد الذي لم تقتله السنين الطويلة وهو في داخل أسره بل ظل يقدم الكثير، يستذكر المجاهدين والشهداء وخنساء فلسطين الحاجة مريم فرحات، ثقتنا بالله كبيرة بأن فجر الحرية آت لا محالة، وسيتحقق لها النصر الكبير على أيدي مجاهدينا القابضين على جمرة الدين والمقاومة.

أمنا مريم الفلسطينية

بقلم الأسير المحرر: د. محمد عرندس

﴿فَكُلِي وَٱشۡرَبِي وَقَرِّي عَيۡنٗا﴾[مريم: 26]، هذا ما خاطب به الله عز وجل مريم ابنة عمران فكانت قريرة العين رغم ما ألم بها من تجريح واتهام في عرضها حتى قالت خوفًا وجزعًا: ﴿يَٰلَيۡتَنِي مِتُّ قَبۡلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسۡيٗا مَّنسِيّٗا﴾[مريم: 23] رغم هذا شرفها الله وأي شرف في قرآنه، وهنا مريم الفلسطينية ويسامحني أخي وصديق العمر أبو حمزة أن أغير قليلًا في العنوان: (أمنا مريم الفلسطينية) فكلُ واحدٍ منا يقرأ هذه السيرة يجد نفسه فيها، هنا شرفها أبو حمزة بأناملة عندما يكتب قائلًا: يا ليتني أستطيع أن أحتضن قبرها بعد أن منعت من احتضانها لكانت سبقتني وبادرت إلى ضمي لحنان صدرها ودفء قلبها، أي تعبير هذا يصدر عن ابن بار لامست كلماته شغاف قلبي فلم تستطع عيناي أن تمسك دمعي ومن مثلي يدرك ألم الفراق وقد شربت من نفس الكأس عند فراق الوالد وأنا داخل الأسر؟؟

لقد عايشنا المجاهد رائد السعدي سنين في الأسر فهو ذلك الإنسان الرقيق والذي استقبلني في بداية الأسر كي يُهون علي ألم السجن والفراق، ذلك الإنسان الذي لا ينسى بعد عشرات السنين تلك المرأة في الأردن التي لم يقدم لها المساعدة هذه الحالة والتي نمر بها يوميًا ولا نحرك لها ساكنًا،

أما رائد الإنسان فهي ما زالت تحوك في صدره ويندم على ذلك فهذا هو رائد الذي عايشناه وعرفناه.

هذا قدر مريم الفلسطينية أن تودع ابنها شهيدًا، ولكنها تبقى شامخة عزيزة؛ لأنها أنجبت أمثال أخينا أبو حمزة وإخوانه في الأسر ومن قبلهم الشهداء الأكرم منا جميعًا، أما مريم الكبرى إن صح التعبير فلسطين فهي كانت وستبقى شامخة، ستبقى شامخة بمن بدأوا الجهاد في القسطل وجنين ويعبد وغزة وحيفا ويافا وسلموا الراية لأمثالِ أبي حمزة ونعمان طحاينة والشقاقي والياسين، والآن يمتشقها أولئك المجاهدون إخوان بهاء أبو العطا ومحمد الضيف، وها هي يزداد شموخها شموخًا وسماء تل الربيع تتوهج بصواريخ أحفادهم وإخوانهم، نعم ستبقى مريم الكبرى شامخة طالما هناك أناس أمثال رائد السعدي قدموا، ومستعدون لأن يقدموا مقابل ما آمنو به، وكما قرّت عينا مريم فستقر عين أبي حمزة قريبًا برؤية الحرية وما ذلك على الله بعزيز.

فهرس

الموضوع	الصفحة
إهداء	5
شكر وتقدير	7
تقديم	9
مقدمة	11
وَيَنشَأُ ناشِئُ الفِتيانِ فينا عَلى ما كانَ عَوَّدَهُ أَبوهُ	17
جدي يحرق حصاد أربعين عامًا من شعر والدي وفكره	35
القدر يسّهل السفر	39
ما ندمت عليه في الأردن وما لم أندم عليه	49
محمود لمنير ممازحًا: أأُطلق عليك النار؟!	55
أصبناه برصاصنا ورصاصه أخطأنا	59
بتكسير منير ينجو جارنا من الموت	67
جريمة الأحد، استشهاد نعمان وسامر	73
أنت نائم وأنا معلق على شجرة زيتون	79
ليلة باردة، ما بين الجدية والهزل	85
يوم الاعتقال	89
الشهيد الشقاقي يقسم أن يُرى دمه على صدره، وصدق	95

الموضوع	الصفحة
في القدس بوابة السماء، وروح عماد تصعد من بوابتها	101
ثمين ينعى لي أمي بدموعه	107
الحبيبة زين	115
دموع قلبي وعيون السماء تبكي أمي	121
نظرة أمي الأخيرة، والدتي تفتح عينيها مودعة ابنتها	127
الحبيبان يوسف ونور	131
جمعة الحنين	137
عرس الشهادة، والشهيد محمد شفيعي	143
الحاجة مريم ورئيس الجمهورية المصرية، د. محمد مرسي	149
رأفت يحدثني كأن شيئًا بداخلي قد كُسر	153
فراق طارق	161
كرامتك، أو غضبي عليك!	167
قاعدة العشق لفلسطين	173
أم أسرى الدوريات.. الحاجة يسرى المحروم	179
رحلة صبر ومعاناة.. الحاجة مريم عويس	187
أم بكر نموذج لعائلة صابرة معطاء	195
لن نركع مثل جدك!	203
خاتمة	205
أقلام تتحدث عن أمي مريم الفلسطينية	207
مريم الفلسطينية.. حكاية دامية وملحمة فداء	209

الموضوع	الصفحة
مريم الفلسطينية.. المارد الذي لا يكل ولا يمل من التعب	211
مريم الفلسطينية هي الرمزية الأجمل والأعظم والأرقى	213
المعتقل الصامت يتفجر بفيض من ينابيع العشق والمحبة والإحساس	217
مريم الفلسطينية تذكرك دومًا بأنك إنسان	221
مريم الفلسطينية.. الفطرة السليمة التي جُبلت على الخير	223
أمنا مريم الفلسطينية	225

» تعريف بالكاتب الأسير

- **الاسم:** رائد محمد شريف السعدي.
- **مكان الإقامة:** بلدة سيلة الحارثية - محافظة جنين.
- **تاريخ الميلاد:** 1966/02/20م.
- **الحالة الاجتماعية:** أعزب.
- **الإعتقالات:** 2.
- **تاريخ الاعتقال الأخير:** 1989/08/28م.
- **الحكم:** مؤبدان.

الشهادات التعليمية:

- بكالوريوس تاريخ - جامعة الأقصى.
- بكالوريوس تعليم اجتماعيات - جامعة القدس المفتوحة.

» في هذا الكتاب

الأم فلسطينية وخاصة أمهات الشهداء والأسرى، هن أكثر معاناة وأكثر ألما وصبرًا، ولأن العدو الذي يغتصب الأرض ويسلب حريتهن ويهين كرامتهن وإنسانيتهن هو العدو الذي فعل كل هذا الجرائم بحق مريم العذراء وابنها المسيح عليهما السلام، فهي مريم الفلسطينية وابنها، وأمهاتنا وأبناؤهن وقع عليهم ما وقع على مريم وابنها، والمكان الذي عاشا فيه (فلسطين) وبرأي الأسير الكاتب أن فلسطين هي مريم بحد ذاتها، فكل ما له علاقة بمريم الأرض ومريم الإنسان هو عدو لهذا العدو.